ظاهرة الحذف

في شعر ابن زيدون

تـوطئة:

الحذف أحد السمات المميزة للغة العربية، فلا تكاد تجد بابًا من أبـواب النحـو إلا وينطوي على الحذف، وهو مظهر من مظاهر فصاحتها وبلاغتها، وقـد أولاه علـماء العربية جلَّ عنايتهم، فجعله سيبويه من باب الاتساع في اللغة [1]، وجعله ابن جنـي من باب شجاعة العربية [2]، وقال عنه عبد القاهر الجرجاني (٤٧٤ هـ): "هـو بـاب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الـذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفـادة، وتجدك أنطـق ما تكون إذا لم تنطق، وأتـم ما تكون بيانًا إذا لم تبن"[3]. وذهـب ابـن الـشجري (٥٤٢هـ) إلى أن الحذف" من أفصح كلام العرب؛ لأن المحذوف كالمنطوق به، من حيث كان الكلام مقتضيًا له، لا يكمل معناه إلا به " [4].

والحذف خروج عن الأصل إذ الأصل أن يرد الكلام بغير حـذف، فالـذكر هـو الأصل، والحذف فرع عليه، وقد أشار سيبويه إلى أنه من الأعراض التي تعـرض في الكلام، فقال: " هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض، اعلم أنهم ممـا يحذفـون الكلم وإن كان أصـله في الكـلام غـير ذلـك "[5]، وقـال الزركـشي (٧٩٤ هـ):

---

(١) انظر:كتاب سيبويه: ١ / ٢١١ – ٢١٦.

(٢) انظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه. محمود محمد شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة.الطبعة الثالثة. ١٩٩٢ م: ١٤٦، وانظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير: ٢/ ٢١٩، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين بن الأثير أيضا: ١٢٤.

(٤) أمالي ابن الشجري. تحقيق الدكتور: محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م: ٢ / ١٢٣.

(٥) كتاب سيبويه: ١/ ٢٤.

"والحذف خلاف الأصل، وعليه ينبني فرعان: أحدهما: إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير. والثاني: إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته، كان الحمل على قلته أولى"[1].

والنحو العربي يحوي"إمكانات سياقية مسرحية لا تفهم حق الفهم إلا من خلال الكلام "[2]، هذه الإمكانات السياقية قد " تدفع المتكلم في كثير من الأحيان إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة "[3]، مع علم المتكلم بالعنصر المحذوف، لكنه يعمد إلى إبهامه على المخاطب لغرض له في ذلك [4]. إذ إن الأساس العام الذي يحكم عملية الحذف" ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء بحيث يكون العدول عنه إفسادا له "[5].

وقد اشترط النحاة لجواز الحذف قيام دليل، أي وجود قرينة لفظية أو حالية تدل على المحذوف، وأن يفهم المعنى من العناصر المتبقية بعد الحذف، وألا يخل هذا الحذف بالمعنى المراد. فقد أشار المبرد (٢٨٥ هـ) إلى أن العرب " تحذف إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا " [6]. كما ذهب ابن جني إلى أن العرب حذفت " الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "[7]، في حين أشار ابن يعيش (٦٤٣ هـ) إلى أن " الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به، ويكون مرادا حكما وتقديرا "[8].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. الطبعة الثانية: ٣ / ١٠٤.
(٢) اللغة والكلام: ١٥.
(٣) النحو والدلالة: ١٣٢.
(٤) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٦٩.
(٥) البلاغة والأسلوبية: ٢٣٥.
(٦) المقتضب. للمبرد. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٣ / ١١٢.
(٧) الخصائص: ٢ / ٣٦٢.
(٨) شرح المفصل لابن يعيش. المطبعة المنيرية بمصر: ١ / ٩٤.

وقد تابع البلاغيون النحويين في شرطهم هذا، فذهب ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ) إلى أن الأصل " في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها، أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه ولا سبب "[١]. كما أشار القزويني (٧٣٩ هـ) إلى " أن الحذف لا بد له من قرينة "[٢]، وقد اشترط البلاغيون أيضًا لبلاغة الحذف أنه متى أُظهر المحذوف، صار الكلام إلى شيء يمجُّه السمع وتعافه النفس لا يناسب ما كان عليه من الحسن[٣].

وإذا كان النحاة قد اتفقوا مع البلاغيين في اشتراطهم وجود دليل على المحذوف، فإنهم اختلفوا في أسلوب دراستهم لظاهرة الحذف، فقد ميز النحاة بين نوعين من الحذف: حذف جائز، وحذف واجب، كما أن هناك حذفًا يمكن التعويض عنه، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. وهناك حذف بلا تعويض كحذف المبتدأ أو الخبر. كما أنهم لم يخصوا الحذف بباب معين، فقد فرقوا الكلام على الحذف على أبواب النحو المختلفة[٤].

أما البلاغيون فراحوا يبحثون عما وراء المحذوف من حسن ومزية، ففندوا الأغراض التي من أجلها يلجأ المتكلم إلى حذف عنصر من عناصر الجملة، كما أنهم " عالجوا الحذف في أبواب خاصة أفردوها له. ووقفوها عليه، ثم تكلموا عليه مرة واحدة "[٥].

ويفهم من ذلك أن البلاغيين كانوا على وعي بقيمة الحذف، وأنه أكثر بلاغة من الذكر؛ لأن الذكر مألوف، والمألوف ليس له من الحسن والمزيَّة ما لغير المألوف[٦].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير. تحقيق الدكتور: أحمد الحوفي، والدكتور: بدوي طبانة. مكتبة نهضة مصر: ٢/ ٢٢٠.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني. شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني: ١ / ١٧٢.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز: ١٥٢، ١٥٣، ١٦٣، المثل السائر: ٢ / ٢٢٠.

(٤) انظر: أمالي ابن الشجري. الجزء الأول من الدراسة: ٨٤، ٨٥.

(٥) أمالي ابن الشجري. الجزء الأول من الدراسة: ٨٤.

(٦) انظر: الأسلوبية. مدخل نظري ودراسة تطبيقية. للدكتور فتح الله سليمان. مكتبة الآداب: ١٤٠.

وقد قسمت هذا الفصل ستة مباحث:

المبحث الأول: الحذف في الجملة الاسمية المطلقة.

المبحث الثاني: الحذف في الجملة الاسمية المقيدة.

المبحث الثالث: الحذف في الجملة الفعلية.

المبحث الرابع: الحذف في أسلوب الشرط والقسم.

المبحث الخامس: حذف الحروف.

المبحث السادس: حذف المكملات.

المبحث الأول

الحذف في الجملة الاسمية المطلقة[1]

تتكون الجملة الاسمية من ركنين أساسيين هما: المبتدأ والخبر، إلا أنها قد تتعرض للحذف في أحد ركنيها، أو كليهما. وقد ورد الحذف في الجملة الاسمية المطلقة في شعر ابن زيدون على نحو ما هو وارد فيما يأتي:

أولاً: حذف المبتدأ:

أشار النحاة إلى أن الجملة الاسمية تتكون من عنصرين أساسيين هما: المبتدأ والخبر " تحصل الفائدة بمجموعهما فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة فلابد منهما"[2].

والنحاة متفقون على أنه قد يوجد من القرائن اللفظية أو الحالية ما يغني عن النطق بأحدهما أو كليهما " لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ألَّا تأتي به ويكون مرادا حكما وتقديرا " [3].

وقد أولى بعضهم سياق الكلام وما يصاحبه من قرائن حالية تتمثل في ظروف

---

(١) الجملة الاسمية المطلقة: هي الجملة الاسمية التي لم ينصب على طرفيها ناسخ من النواسخ. أما الجملة الاسمية المقيدة: فهي كل جملة اسمية دخل عليها ناسخ من النواسخ. انظر: الجملة الاسمية بين الإطلاق والتقييد. رأي وتصنيف. للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد ٧٧ / ١٥٤ وما بعدها.

(٢) شرح المفصل: ١ / ٩٤.

(٣) شرح المفصل: ١ / ٩٤، وانظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٣٠، الأصول في النحو لابن السراج: ١ / ٦٨، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٦١، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١ / ٢١٤.

وملابسات الكلام، وحالتي المتكلم والمستمع عناية خاصة قد تغنى عن المحذوف، فذكر سيبويه أن المبتدأ يحذف ويبقى الخبر اعتمادا على قرينة مرتبطة بحاسة من الحواس الخمس[1]. " وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبدُ الله وربِّي، كأنك قلت: ذاك عبدُ الله، أو هذا عبدُ الله، أو سمعتَ صوتا فعرفتَ صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته، فقلت زيدٌ وربِّي أو مَسسْتَ جسدا أو شَممْتَ ريحا فقلت زيدٌ، أو المسكُ، أو ذقتَ طعاما فقلتَ العسلُ، ولو حُدِّثتَ عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلتَ: عبدُ الله. كأنَّ رجلا قال: مررت برجلٍ راحم للمساكين، بارٍّ بوالديه، فقلت: فلانٌ والله "[2]، أو أن يقول المستهل:الهلالُ والله، أي هذا الهلال[3]، كما أشار ابن مالك (٦٧٢ هـ) إلى جواز حذف المبتدأ اعتمادًا على قرينة الحال وذلك كقولك " عند شم طيب: مسكٌ، وعند سماع تكبير: أذانٌ، وعند رؤية ذي سمت حسن: رجلٌ صالح "[4].

يتضح من معالجة النحويين لقضية حذف المبتدأ أنهم يجيزون حذفه بكثرة، بشرط أن يفهم هذا الحذف من خلال السياق سواء أكان لفظيا أم حاليا؛ لما لذلك من أثر كبير في تعيين المحذوف وفهم المعنى المراد.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد ربط بين حذف المبتدأ وموقعه في النفس، فيقول بعد أن أورد عددا من الأبيات التي حذف فيها المبتدأ " فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظَّرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فَليْت النفس عما تجد، وألطفت النظر فيما تحس به. ثم تكلفت أن تَردَّ ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى

---

(١) انظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. للدكتور: طاهر سليمان حموده. الدار الجامعية للطباعة والنشر: ١١٧.

(٢) كتاب سيبويه: ٢ / ١٣٠.

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري: ٢ / ٦١، شرح المفصل لابن يعيش: ١ / ٩٤، الطراز للعلوي: ٢٥٨.

(٤) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك. تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري. مطبعة العاني. بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م: ١ / ١٧٤.

لفظك، وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن رُبَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد "[1]، ويفهم من نص عبد القاهر أنه ينظر إلى قضية حذف المبتدأ من منظور فني، فيرى أن المزيَّة في حذفه تكمن في قيمته وأثره في النفس، وردِّ المحذوف إلى السياق، فإذا أنفته النفس فحذفه أولى.

ويبدو أن عبد القاهر كان أكثر دقة من سائر البلاغيين الذين أشاروا إلى الأغراض التي من أجلها يحذف المبتدأ، كالاختصار والاحتراز وضيق المقام واختبار تنبه السامع وتطهير اللسان عن ذكر المبتدأ[2]. فلا يمكن قبول هذه الأغراض على إطلاقها دون ولوج النص ومعرفة ما يحيط به من ظروف وملابسات.

وقد ورد حذف المبتدأ في شعر ابن زيدون وذلك لتحقيق الدلالات الآتية:

- **المدح والتعظيم**: كما في قوله (من الطويل)[3]:

مليكٌ يسوسُ الملْكَ منه مُقلَّدٌ ... رَوى عن أبيه فيه ما سَنَّهُ الجَدُّ[4]

سجيَّتُهُ الحَسْنى، وشيمته الرِّضَا ... وسيرتُه المُثْلَى ومُذهبُه القَصْدُ

زان النَّدِيَّ بحبْوةٍ ... تَرجَّح في أَثْنائها الحَسَبُ العدُّ

زعيمٌ لأبْنَاءِ السِّيادةِ بارعٌ ... عليهمْ به تُثْنَى الخناجِرُ إن عُدُّوا

بعيدُ منالِ الحالِ دانِي جَنَى النَّدَى ... إذا ذُكِرتْ أخلاقُه خَجِل الوَرْدُ

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٥١.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ١ / ١٠٩، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي: ١٤.

(٣) الديوان: ٣٥٩.

(٤) القَصْد: العدل، النَّديُّ: مجلس القوم، الحبْوة: جلسة يضم فيها الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون باليدين بدلا من الثوب. لسان العرب: ١١ / ١٧٩ (ق ص د)، ١٤ / ٩٨ (ن د ي)، ٣ / ٣٦ (ح ب ا).

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، ويصفه بالعظمة والهمَّة والزعامة وسموِّ الشمائل والسخاء، وقد جاء في الأبيات بالمبتدأ محذوفا في قوله مليكٌ، همامٌ، زعيمٌ، بعيدُ منال الحال، دانى جنى الندى، ويشير السياق اللغوي إلى تعيين المحذوف، ففي البيت السابق على هذه الأبيات يقول ابن زيدون[1]:

تَـــولَّى فلَـــوْلا أن تـــلاه محمـــدٌ لأَوْطـأَ خـدَّ الحـرِّ أخمُـصه العبْـدُ

و(محمد) في البيت هو أبو الوليد بن جهور، ويأتي حذف المبتدأ في الأبيات السابقة لتمجيد أبي الوليد وتعظيم شأنه، فإذا كان الأمير تنطبق عليه كل هذه الصفات، فإنه لم يعد لذكر الضمير العائد إليه (هو) قيمة أمام ما يتصف به.

- **التصاغر والاستعطاف**: وذلك في قوله (من الطويل)[2]:

أبـا الحَـزْمِ إنِّـى في عِتَابِـكَ مائـلٌ على جانبٍ تَأوِي إليه العُلا سَهْلِ[3]

حمـائمُ شَـكْوى صَـبَّحْنَك هـوادِلاً تناديـكَ مـن أفنـانِ آدابيَ الهُـدْلِ

جـوادٌ إذا اسْـتنَّ الجيـادُ إلى مـدًى تمطَّـر فاسْـتولَى عـلى أمـدِ الخُـصْلِ

الأبيات من قصيدة نظمها الشاعر بعد أن زجَّ به أبو الحزم بن جهور إلى السجن بتهمة التآمر علي بني جهور، بعد أن كان يطمع في الحصول على منصب كبير في دولة أبي الحزم[4]، وفي السجن لقي معاملة قاسية وتعرض لآلام نفسية شديدة، فقد فشل في حبِّه لولادة، وخسر مكانته لدى الأمير، وانتهى به الأمر إلى حيث ينتهي بالجناة والمجرمين، كما أن حياته مهددة بالخطر، هذا إلى جانب شماتة حساده وتنكر

---

(١) الديوان: ٣٥٨.

(٢) الديوان: ٢٦٧.

(٣) الهدْل: المتدلية، ومنه: تهدَّلت الثمار وأغصان الشجرة. أي تدلَّت، واستنَّ الجيادُ: جرت في نشاط، وتمطَّر الفرس: جرى وأسرع، والخصْلُ: إصابة الهدف. لسان العرب: ١٥ / ٥٤ (هـ د ل)، ٦ / ٤٠٢ (س ن ن)،١٣ / ١٣٢ (م ط ر)، ٤ / ١١٢ (خ ص ل).

(٤) انظر: ديوان ابن زيدون. شرح وتحقيق: محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م. المقدمة: ٨.

أصدقائه له [1]. فالشاعر- وهذه حاله- قد وصل إلى مرحلة شديدة من اليأس، فأخذ يستدر عطف الأمير، مخبرا إياه أن أمه تبكي على فراقه حتى تقرحت أجفانها.

أمقتولـــةَ الأجفـــانِ مالـــكِ والهًـــا

أَلَمْ تُـــرِكِ الأيـــامُ نجـــمًا هَـــوَى قَـــبِلي [2]

أقـــلِّي بكـــاءً لـــستِ أوَّل حُـــرةٍ

طَوتْ بالأَسَى كَشْحًا على مَضضِ الثُّكِلْ

لقد ضج الشاعر بالشكوى إلى الأمير نادبا كما يندب الحمام، مذكرا إياه بمروءته وسبقه إلى الغايات قبل غيره من الشعراء، ولا شك أنه هنا يقف موقف المتصاغر المستعطف أبا الحزم؛ لذلك حذف المبتدأ في قوله: جوادٌ إذا استنَّ الجياد إلى مدى، والتقدير أنا جواد، ولا شك أن ذكر المبتدأ هنا يعطي إحساسا بالأنوية والإشعار بالذات البعيدين كل البعد عن حال الشاعر.

- **الاحتقار**: كما في قوله (من البسيط) [3]:

قالوا أبو عامرٍ أَضْحى يلمُّ بها ... قلتُ الفراشةُ قد تدنُو من النَّارِ

عيَّرتمُونا بأن قد صار يخْلفُنَا ... فيمنْ نُحبُّ وما في ذاكَ من عارِ

أكلٌ شهىٌّ أصبْنَا من أطايِبِه ... بعضًا وبعضًا صَفحْنا عنه للفارِ

وجه الشاعر هذه الأبيات إلى ابن عدوس - منافسه في حب ولادة- وكانت ولادة قد انصرفت عن شاعرنا إلى خصمه ابن عبدوس [4]، فأراد مكايدة منافسه وإشعاره بأنه نال منها كل ما يشتهى، ثم انصرف عنها وترك له فضلاته [5]، فهو

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١ / ٣٥١، ابن زيدون. لعلي عبد العظيم: ١٤٢، ١٤٣.
(٢) الديوان: ٢٦٤.
(٣) الديوان ١٩٦.
(٤) انظر: الديوان: ١٩٦. هامش (١).
(٥) ابن زيدون. لعلي عبد العظيم: ٢١٤.

يبالغ في تحقير ولادة مشبها إياها بالطعام الذي أكل أفضله وترك فضلاته، وقد جاء بالمبتدأ محذوفا في هذا السياق في قوله: أكل شهيٌّ، والتقدير: هي أكل شهي، تحقيرا من شأنها، وإمعانا في الحط من منزلتها، وكأنه يصون لسانه عن ذكرها أو الإشارة إليها.

ومن ذلك أيضا قوله (من الطويل) [1]:

فِداؤكُمُ مَنْ إنْ تُعَدْه ظنُونُه ... لَحاقكُم في المجدِ فالدَّهْرُ ما طِلُ

مَناكيدُ فِعْلُ الخيرِ منْهم تكلُّفٌ ... إذ الشَّرُّ طَبْعٌ ماهُم عنه ناقِلُ

يمدح الشاعر بني جهور، فيقول: إن منافسيهم لن يستطيعوا لحاقهم في المجد والشرف؛ لأنهم مشئومون، إذا فعلوا خيرا فعلوه عن تكلف ومشقة، فالشر طبيعة متأصلة فيهم لا يستطيعون تركه أو الانتقال عنه [2]. وقد حذف المبتدأ في قوله: مناكيد، والتقدير: هم مناكيد، والحذف هنا لتحقير شأن هؤلاء المنافسين، ولبيان أنهم ليسوا بحاجة إلى تأكيد ما وصفهم الشاعر به، فهي صفات متأصلة فيهم.

ثانياً: حذف الخبر:

الخبر هو الجزء الذي يتم به المعنى فهو " الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع ويصير مع المبتدأ كلاما تاما، والذي يدل على ذلك أن به يقع التصديق والتكذيب، ألا ترى أنك إذا قلت عبدُ الله منطلقٌ، فالصدق والكذب إنما وقعا في انطلاق عبد الله لا في عبد الله؛ لأن الفائدة في انطلاقه، وإنما ذكرت عبد الله وهو معروف عند السامع لتسند إليه الخبر الذي هو الانطلاق " [3].

ورغم أهمية الخبر كأحد عنصري الإسناد في الجملة الاسمية، فإنه يجوز حذفه من بنية الجملة، لدواع يقتضيها الموقف اللغوي.

---

(١) الديوان: ٣٩٣.
(٢) انظر: الديوان: ٣٩٣ هامش (٥، ٦).
(٣) شرح المفصل: ١ / ٨٧.

وقد أشار بعضهم إلى أن " حذف الخبر أكثر من حذف المبتدأ، ووجه ذلك هو أن المبتدأ طريق إلى معرفة الخبر، فإذا كان الخبر محذوفا ففي الكلام ما يدل عليه وهو المبتدأ، وإذا حذف المبتدأ لم يكن في الكلام ما يدل عليه؛ لأن الخبر لا يكون دليلا على المبتدأ "[1]. ولعل هذا القول يتعارض مع ما ذهب إليه النحاة والبلاغيون من اشتراط وجود القرينة سواء أكانت لفظية أم حالية لتعيين المحذوف، يستوي في ذلك كل عناصر الجملة سواء أكان المحذوف مبتدأ أم خبرا أم غير ذلك، إذ لابد أن يفهم هذا الحذف من سياق الكلام، ومجموعة القرائن اللفظية أو الحالية المصاحبة له، فليس المبتدأ وحده هو الذي يدل على الخبر المحذوف، وليس الخبر وحده هو الذي يدل على المبتدأ المحذوف، بل إن هناك مجموعة من العناصر تتحد فيما بينها لتعيين المحذوف، كالموقف الذي يجري فيه الكلام، وحالتي المتكلم والمخاطب، وفهم المخاطب، وموضوع الكلام، والبعد الاجتماعي بين المتكلمين، إلى غير ذلك من العناصر التي تؤدي إلى استنباط المحذوف. والمتكلم حينئذ بالخيار في أن يحذف عنصرا من عناصر الجملة أو يذكره، ما دام هناك دليل لفظي أو حالي في الكلام وما يلابسه [2].

وقد حُذف الخبر في شعر ابن زيدون وأُتي بجملة تنوب عنه، وتزيد عليه في هذا المعنى مما يضفي بعدا دلاليا لا يؤديه ذكر الخبر، كما في قوله (من البسيط) [3]:

غيظَ العدَا من تَساقِينَا الهوى فَدعوْا ... بأن نَغصَّ فقال الدَّهرُ آمينَا[4]

فانْحلَّ ما كان مَعْقودًا بأَنفُسنا ... وانْبتَّ ما كان موصُولاً بأيْدينَا

وقد نكونُ وما يُخْشَى تفرُّقُنا ... فاليومَ نحنُ وما يُرجَى تَلاقينَا

---

(١) الطراز. للعلوي. ضبط ومراجعة محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية. بيروت: ٢٥٨.

(٢) انظر: النحو والدلالة: ١٣٦، ١٣٧.

(٣) الديوان: ١٤٢.

(٤) انبت: انقطع. لسان العرب ١ / ٣٠٧ (ن ب ت).

الأبيات من قصيدة يبعث بها شاعرنا إلى محبوبته ولادة بعد هروبه من سجنه بقرطبة، فقد نجح الأعداء في التفرقة بينهما، وانبتَّ الحبل المتين الذي كان موصولا بينهما، فصارا في حالٍ من البعاد اليائس الذي لا أمل معه في الوصال أو اللقاء الذي كان معقودا في الماضى[1]، وفي البيت الثالث جاء الشاعر بالمبتدأ (نحن) دون ذكر الخبر، فلم يقل (نحن متفرقان أو متباعدان)، بل استغنى عن ذكره بجملة (وما يرجى تلاقينا) التي تفوق في معناها كلمتي (التفرقة والبعاد) فمهما كانت دلالة الفرقة والبعاد، فإن التعبير بجملة (وما يرجى تلاقينا) أعطى إحساسا أكيدًا بأن شاعرنا أصبح في يأس تام من اللقاء، فهي تجسد لنا حالة الحزن والحسرة التي يقاسيها نتيجة هذا البعاد، ولعل كثرة المدود في هذه الجملة إلى جانب إطلاق القافية عمق لدينا الإحساس بحالته، فكأنه يئنُّ أنينا حين النطق بها، ولم لا؟ فهو الفارُّ من السجن الذي لا ينعم بالأنس، وهو المحب الذي لا ينعم بحبه.

(١) انظر: قصائد أندلسية: للدكتور: أحمد هيكل. الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٣٩، ٤٠.

المبحث الثاني

الحذف في الجملة الاسمية المقيدة

تتكون الجملة الاسمية من اسمين مرفوعين، يسمى الأول: مبتدأ، والثاني: خبرا، ولكن قد يدخل على هذه الجملة ألفاظ معينة تؤثر فيها، فتغير اسم المبتدأ والخبر، وتؤثر في إعرابهما، ومكان المبتدأ من صدارة الجملة [1]، كما أنها قد تقيد الجملة بزمن معين، أو تُضفي معنى جديدًا لم يكن موجودًا من قبل عن طريق عنصر لغوي جديد على العنصرين الأساسيين: المبتدأ والخبر [2]، ومن هذه الألفاظ (النواسخ) وتتمثل في: كان وأخواتها، والمشبهات بليس، وأفعال المقاربة والرجاء والشروع، وإن وأخواتها، ولا النافية للجنس، وظن وأخواتها.

وقد ورد الحذف في الجملة الاسمية المقيدة في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولاً: حذف كان:

تحذف كان وحدها حذفًا واجبًا بعد (أن) المصدرية " الواقعة في موضع المفعول لأجله في كل موضع أريد فيه تعليل فعل بفعل " [3]، وذلك كقولهم: أمَّا أنت منطلقًا انطلقت معك، وأصلها " أن كنتَ منطلقًا، فحذفوا (كان) وعوضوا منها (ما) وأدغموا نون (أن) في ميم (ما) ووضعوا (أنت) في موضع التاء، وأعملوا (كان)

---

(١) انظر: النحو الوافي. للأستاذ عباس حسن. دار المعارف. الطبعة العاشرة ١٩٩١م: ١ / ٥٤٣.

(٢) انظر: الجملة الاسمية بين الإطلاق والتقييد. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٧٧ / ١٥٤.

(٣) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري. دار إحياء الكتب العربية: ١ / ١٩٥.

محذوفة، وموضع (أن) مع صلتها نصب؛ لأنه مفعول له، والتقدير: لأجْل أنْ كنتَ منطلقا انطلقتُ معك "[1].

ومن ذلك قول الشاعر[2]:

أَبَا خُراشَةَ أَمَّا أنتَ ذا نفرٍ فإنَّ قَوْمِي لم تأكُلهم الضَّبُعُ

ويجوز حذف كان وحدها ويبقى الاسم والخبر. وذلك كقول الشاعر[3]:

أزمانَ قَوْمي والجماعة كالَّذي لَزِم الرِّحالةَ أنْ تميلَ مَميلاَ

والتقدير: أزمان كان قومي والجماعة، حذفت (كان) وبقى اسمها (قومي) وخبرها (كالذي).

وقد ورد حذف كان وحدها وبقى معمولاها في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الكامل)[4]:

إن ساء فعْلُكِ بي فما ذَنْبي أنا حَسْبُ المَتَيَّم أنَّه قد أَحْسَنَا

لم أسْلُ حتى كان عُذركِ في الذي أبْديْتِه أخْفَى وعُذْري أبْيَنَا

لقد هجرت ولادة الشاعر بلا ذنب، فأساءت إليه في حين أحسن هو إليها، وليس لها عذر واضح في ذلك، والشاعر تتنازعه مشاعر عدة، فهو حزين لفراق

---

(١) أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٣٤، وانظر: شرح الأشموني: ١ / ٢٤٤.

(٢) البيت من البسيط. للعباس بن مرادس. والشاهد فيه: حذف (كان)، والتقدير: أن كنت ذا نفر، والبيت في كتاب سيبويه: ١ / ٩٣، كتاب الشعر: ٥٨، الخصائص: ٢ / ٣٨٣، أمالي ابن الشجري: ١ / ٤٩، ٢/ ١١٤، ٣/ ١٣٤، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٧١، شرح المفصل: ٢/ ٩٩، شرح ابن عقيل: ١/ ٢٥٦، شرح التصريح:١/ ١٩٥، شرح الأشموني:١/ ٢٤٤، شرح شواهد العيني:١/ ٢٤٤.

(٣) البيت من الكامل. للراعي النميري، والشاهد فيه: حذف (كان) وبقاء اسمها وخبرها، والبيت في ديوان الراعي النميري. جمع وتحقيق: راينهرت فايبرت. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية: بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠م: ٢٣٤، كتاب سيبويه: ١ / ٣٠٥، حاشية الخضري: ١/ ١١٧.

(٤) الديوان: ١٩٠.

ولادة له وانصرافها عنه، كما تسيطر عليه حالة من القلق والحيرة، فقد أحسن إلى ولادة في حين أساءت هي إليه بلا ذنب واضح، ومنبع القلق والحيرة هنا أنه لا يعرف سببًا في هجران ولادة له، فلم يقترف في حقها ذنبًا، ولا شك أن حالة الحيرة والقلق التي تنتاب الشاعر قد أصابت التركيب اللغوي بالقلق أيضا، فالأصل أن يقال (وكان عذري أبينا)، ولكنه في موقف يقصُر فيه عن إكمال بنية الجملة بذكر (كان) لما ينتابه من حالة نفسية سيئة.

ثانيا: حذف اسم كان:

ذهب بعض النحاة إلى أنه لا يجوز حذف اسم كان وأخواتها لشبهه بالفاعل، والفاعل لا يُحذف [1]، وأعتقد أن اسم كان شأنه شأن كل عناصر الجملة يجوز حذفه إذا وجد في الكلام ما يدل على المحذوف.

وقد ورد اسم كان محذوفًا في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الكامل) [2]:

ما كان إلا كانْجِلاءِ غَيابةٍ ... لَبِسَ الفرنْدَ بها الحسامُ الباترُ [3]

لقد أصاب مرض الحمَّى المعتمد بن عباد، وشُفي من هذا المرض، فهنأه الشاعر بالشفاء، ويذكر أن هذا المرض لم يكن إلا ظلامًا عابرًا كشف عن وضاءة الأمير وإشراقه كما يتلألأ السيف في بريقه ولمعانه [4]، وفي هذا السياق حذف الشاعر اسم كان في قوله (ما كان إلا كانجلاء غيابة) والتقدير: ما كان المرض إلا كانجلاء غيابة. والمرض من الأمور المكروهة المستهجنة لذلك عمد إلى حذفه.

ثالثًا: حذف خبر كان وأخواتها:

اختلف النحاة في حذف خبر كان وأخواتها، فمنعه ابن مالك في كان وأخواتها

---

(١) انظر: همع الهوامع للسيوطي. تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني. دار المعرفة. بيروت: ١ / ١١٦.

(٢) الديوان: ٥٠٧

(٣) غيابة كل شيء: قعره منه، كالجبِّ والوادي وغيرها. لسان العرب: ١٠ / ١٥٢ (غ ي ب).

(٤) انظر: الديوان: ٥٠٧ هامش (٣).

"إلا ليس فأجاز حذف خبرها اختيارا ولو بلا قرينة إذا كان اسمها نكرة عامة، تشبيها بـ(لا) كقولهم فيما حكاه سيبويه: ليس أحدٌ. أي: هنا وقوله: فأما الجودُ منك فليس جودُ. وقوله:

تُبِستُم وخِلْتُم أَنَّهُ ليس ناصرٌ فبُؤِّئتم مِن نَصْرنا خيرَ مَعْقِلِ"[1]

كما أشار أبو حيان (٧٤٥ هـ) إلى منع حذف خبر كان وأخواتها منعا مطلقا وإن دل دليل على المحذوف، وقصر ذلك على ما جاء في الشعر [2]، كقول الشاعر [3]:

لَهْفي عليك لِلهْفةٍ من يَبْغِي جِوارِكِ حين ليس مُجيرُ

والتقدير: أي حين ليس في الدنيا، فحذف خبر ليس.

غير أن بعضهم أجاز حذف خبر كان وأخواتها، فأجاز ابن الشجري حذفه في جواب الاستفهام، كأن يقال " من كان في الدار؟ فتقول: كان أبوك، فتحذف الظرف، ويقول من كان قائما؟ فتقول: كان حموك، فتحذف: قائما "[4].

أما الزمخشري (٥٣٨ هـ) فقد ذهب مذهبا أوسع من ذلك، فأجاز حذف خبر كان وأخواتها إذا دل دليل على المحذوف، ففي تعليقه على قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾[5]، قال " فإن قلت: (لا أبرح) إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى لا أزال فلابد من الخبر، قلت: هو بمعنى لا أزال، وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه، أما الحال فلأنها حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله " حتى أبلغ مجمع البحرين " غاية مضروبة تستدعى ما هي غاية له، فلابد أن

---

(١) همع الهوامع: ١ / ١١٦.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. طبع بعناية الشيخ زهير جعيد. دار الفكر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: ٧ / ١٩٨.

(٣) البيت بغير نسبة في: البحر المحيط: ٧ / ١٩٨، همع الهوامع: ١ / ١١٦.

(٤) أمالي ابن الشجري: ٢ / ٦٣.

(٥) سورة الكهف: ٦٠.

يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين "[1]، فجعل الزمخشري السياق بشقيه الحالي واللغوي هو المعين على تحديد المحذوف.

ويؤيد ما ذهب إليه الزمخشري ورود خبر كان محذوفا فيما روى عن عائشة – رضي الله عنها – قالت " ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي – ﷺ – ما غِرْتُ على خديجة وما رأيتها، ولكن النبي – ﷺ – يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد "[2]، ففي قوله – ﷺ –: إنها كانت وكانت....، استتر اسم كان وحذف خبرها.

إن ما ذهب إليه بعض النحاة من القول بمنع حذف خبر كان يخالف ما ورد محذوفا في القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب، كما يخالف أيضا القاعدة العامة التي وضعها النحاة في جواز الحذف إذا وجد دليل على المحذوف [3]. ولذلك أميل إلى ما ذهب إليه الزمخشري من جواز حذف خبر كان وأخواتها؛ لوروده في القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب، بالإضافة إلى أن خبر كان شأنه في الحذف شأن بقية عناصر الجملة، بشرط أن يفهم هذا الحذف من خلال السياق ومجموعة القرائن المصاحبة له.

وقد ورد حذف خبر كان وأخواتها في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [4]:

فلا بَرِحتْ تلك الضَّغائنُ إنها ... أَفاعٍ لها بين الضُّلوعِ لِصَابُ [5]

---

(١) الكشاف. للزمخشري. طبعة دار الفكر: ٢ / ٤٩٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني. تصحيح ومراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين. دار الريان للتراث. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م. كتاب مناقب الأنصار: ٧ / ١٦٦.

(٣) انظر: المقتضب: ٣ / ١١٢، الخصائص: ٢ / ٣٦٢، شرح المفصل: ١ / ٩٤.

(٤) الديوان: ٣٨٢.

(٥) لَصِب الجلد باللحم: لصق به من الهزال. لسان العرب: ٢ / ٢٧٧ (ل ص ب).

يمكن اعتبار (برح) هنا ناقصة، وعلى ذلك فخبرها محذوف، والتقدير: فلا برحت تلك الضغائن تصيبني أو مستمرة. والشاعر هنا يتحدث عن الحاقدين الذين يريدون أن يوقعوا بينه وبين الأمير، ويتمنى استمرارهم في أحقادهم هذه، فهي أفاع تجوس بين ضلوعهم فتضنيهم وتوسعهم غمًّا ونحولا. وفي هذا السياق يلحظ أن المبتدأ هو محور الاهتمام في البيت، فذكره الشاعر، على حين حذف الخبر لدلالة السياق عليه، كما أدى حذف الخبر إلى لفت انتباه السامع إلى الجملة التي تليه: إنها أفاع...، فهو يشبه ضغائنهم وأحقادهم بالثعابين التي تجوس في ضلوعهم. بينما فاعلية هذه الجملة تقل إذ ذكر الخبر. وقد تكون (برح) هنا تامة، وكأن الشاعر يدعو بدوام تلك الضغائن، وعلى ذلك فلا حذف في البيت.

رابعًا: حذف خبر كاد:

يجوز حذف خبر كاد وأخواتها إذا دل عليه دليل [1]، ومنه الحديث الشريف " من تأنَّى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد " [2]، ومنه أيضا قول الشاعر [3]:

هَمَمْتُ ولم أَفْعلْ وكدتُ وليتَنِي تركتُ على عثمانَ تبكي طَلائلُهْ

والتقدير: وكدت أفعل، فحذف الخبر [4].

وقد ورد حذف خبر كاد في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الكامل) [5]:

قد ألِّفتْ أشتاتُهم في واحدٍ إلا يكنْهم أمةً فيكادُ

حذف الشاعر خبر (كاد)، والتقدير: فيكاد أن يكون أمة، والشاعر يمدح

---

(١) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. دار إحياء الكتب العربية: ١ / ٢٦٣.

(٢) السابق: ١ / ٢٦٣.

(٣) البيت من الطويل لضابئ بن الحارث البرجمي، والشاهد فيه: حذف خبر كاد، والبيت في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي. تحقيق الدكتور: محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م: ٢٠١، الكشاف: ٢ / ٣١١.

(٤) انظر: كتاب الشعر: ٢٠١.

(٥) الديوان: ٤٥٥.

المعتضد، ويقول إنه سليل ملوك أمجاد، هؤلاء الملوك الأمجاد تجمعوا في فرد واحد هو المعتضد الذي يعتبر أمة وحده، فإن لم يكن أمةً فيكاد أن يكون أمةً وحده، ولاشك أن الخبر المحذوف معلوم من السياق. ولما كان الشاعر يرى أن الخبر المحذوف حقيقة واقعة لا تقبل الشك، عمد إلى حذفه مكتفيا بدلالة السياق عليه.

خامساً: حذف خبر لا النافية للجنس:

يحذف خبر لا النافية للجنس جوازا عند سيبويه إذا دل عليه دليل، فيقول " ولكنك تضمره، وإن شئت أظهرته. وكذلك: لا رجلَ ولا شيءَ، إنما تريد لا رجلَ في مكان ولا شيء في زمان "[1]، ومنه قوله تعالى (لاَّ بَيْعَ فِيهِ وَلاَ خُلَّةَ وَلاَ شَفَاعَةَ)[2]، والتقدير: ولا خلةَ فيه ولا شفاعةَ فيه، فحذف الخبر فيهما لدلالة الخبر الأول عليه[3]. ومنه قول ابن ميادة [4]:

أَلا ليْت شِعْري هل إلى أمِّ مَعْمرٍ سبيلٌ فأمَّا الصَّبرُ عنها فلا صَبْرَا

أما التميميون والطائيون فذهبوا إلى القول بوجوب حذف خبر (لا) النافية للجنس إذا دلت القرينة على حذفه، على حين ذهب الحجازيون إلى جواز حذفه عند وجود القرينة، أما إذا لم يوجد دليل على الخبر امتنع حذفه عند الجميع [5].

وقد ورد حذف خبر(لا) النافية للجنس في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الكامل)[6]:

---

(١) كتاب سيبويه: ٢ / ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٤، وقراءة النصب لابن كثير وأبي عمرو. انظر: الحجة في علل القراءات السبع. لأبي على الفارسي. الجزء الثاني. تحقيق على النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتاح شلبي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م: ٢ / ٣٨٨.

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري: ٢ / ٦٦.

(٤) البيت من الطويل. والشاهد فيه: حذف خبر (لا) النافية للجنس، والتقدير: فلا صبر لي، والبيت في كتاب سيبويه: ١ / ٣٨٦، أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٣٣.

(٥) انظر: الكافية في النحو بشرح الرضي. دار الكتب العلمية. بيروت: ١ / ١١٢، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١ / ٣٥١، ٣٥٢.

(٦) الديوان: ٤٤٤.

جُهْدُ المقلِّ نصيحةٌ مَمْحوضةٌ أفـرْدتَ مُهِـديَها فـلا إشْرَاكَـا[1]

يخاطب الشاعر المعتضد ويقول له: كل ما أستطيعه من جهدي المتواضع أن أقدم لك النصيحة الخالصة لأنك أفردتني بالاستشارة وجعلتني الناصح الأمين [2]. لقد خص المعتضد ابن زيدون بالاستشارة والنصح، وفي هذا السياق حذف خبر (لا) النافية للجنس في قوله: لا إشراكا، فلم يقل: فلا إشراك معي في نصيحتك، فالسياق اللغوي هنا يشير إلى الخبر المحذوف، حيث تقدم ما يشير إليه وذلك قوله: أفردت مهديها، كما أنه ليس هناك ثمة شك ينتاب المتكلم أو السامع في إفراد الشاعر بالنصيحة والاستشارة، ومن ثم فلا داعي لذكره.

(١) الممحوضة: الخالصة. لسان العرب ١٣ / ٣٧ (م ح ض).
(٢) انظر: الديوان: ٤٤٤ هامش (٥).

المبحث الثالث

الحذف في الجملة الفعلية

قد يعمد الشاعر إلى حذف عنصر من عناصر الجملة الفعلية لغرض يهدف إليه، وقد ورد الحذف في الجملة الفعلية في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولاً: حذف الفعل:

يجوز حذف الفعل إذا وجد من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على المحذوف؛ لأن " قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ، وذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق. فإن أتى باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد، وإن لم يؤت به فللاستغناء عنه "[1].

فمن القرائن اللفظية لحذف الفعل ما أشار إليه الخليل (١٧٥ هـ) في تعليقه على قوله تعالى ﴿ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[2]، قال " كأنك قلت: انته وادخل فيما هو خير لك، فنصبته لأنك عرفت أنك إذا قلت له: انته، أنك تحمله على أمر آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال له: انته، فصار بدلا من قوله: ائت خيرًا لك، وادخل فيما هو خيرٌ لك "[3]، والخليل بكلامه هذا يشترط وجود قرينة على المحذوف، ففي الآية حذف الفعل (ائت) لدلالة الفعل (انتهوا) عليه، كما اشترط ألا يؤدي الحذف إلى لبس في

---

(١) شرح المفصل: ١ / ١٢٥.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٢٨٣، ٢٨٤.

ذهن السامع، وأن يكون المخاطب على علم بالمحذوف [1]، ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾ [2]، أي " أنزل خيرا " [3]، فحذف الفعل والفاعل في جواب الاستفهام، والقرينة هنا سياقية لغوية حيث وجد ما يشير إلى هذا الحذف في السؤال [4]، وأيضا قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [5]، والتقدير: فإن خفتم ألا تعدلوا بين الأربع فانحكوا واحدة.[6] فحذف الفعل لتقدم ما يشير إلى هذا الحذف في السياق [7]، ومنه قوله الشاعر: [8]

تَعدُّون عَقْر النِّيبِ أفضلَ مَجدِكُمْ بني ضَوْطَرَى لولا الكَميَّ المقنَّعا

والتقدير: " لولا عددتم أو تعدون الكميَّ، وإن شئت قدرت: لولا عقرتم أو تعقرون، بدلالة العقر عليه " [9].

ومن القرائن الحالية لحذف الفعل أنك إذا رأيت رجلا يسدد سهما نحو القرطاس، فسمعت صوتا، فتقول: القرطاسَ والله، أي أصاب القرطاسَ، وقولهم

---

(١) انظر: أثر النحاة في البحث البلاغي. للدكتور: عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة ١٩٨٨م: ٥٧.

(٢) سورة النحل: ٣٠.

(٣) الكشاف: ٢ / ٤٠٧.

(٤) انظر: أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته. دراسة نصية من القرآن الكريم. رسالة دكتوراه للدكتور: فتحي ثابت علم الدين. كلية الدراسات العربية. جامعة المنيا. ١٩٩٤م: ١١٦.

(٥) سورة النساء: ٣.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء. الجزء الأول. تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي. الدار المصرية للتأليف والترجمة. بدون تاريخ: ١ / ٢٥٥.

(٧) انظر: أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته: ١٦٦.

(٨) البيت من الطويل، والشاهد فيه حذف الفعل، والتقدير: لولا تعدون الكمي، والبيت في ديوان جرير. طبعة دار صادر. بيروت ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م: ٢٦٥، وفيه (هلاّ) بدلا من (لولا)، وشرح شواهد المغني: ٦٦٩. وقد نسبه أبو عبيدة وابن الشجري للأشهب بن رميلة. انظر: مجاز القرآن: ١ / ٥٢، ٣٤٦، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٥٠٩.

(٩) أمالي ابن الشجري: ١ / ٤٢٦.

لرجل مُهوٍ بسيف في يده: زيدًا، أي اضرب زيدًا، وكذلك إن كان رجل في حديث ثم حضر من قُطع الحديث من أجله، فتقول: حديثَك. أي أتمَّ حديثك، أو إذا صدرَت من إنسان أفاعيلُ البخلاء، فتقول: أكلَّ هذا بُخْلا؟ أي: أتفعل كلَّ هذا بخلا؟ أو رأيتَ رجلا في هيئة الحاج، فقلت: مكةَ والله، أي يريد مكة والله، أو رأيتَ ناسا يرقبون الهلال، وأنت بعيد منهم فكبَّروا، فقلت الهلالَ والله، أي أبصروا الهلالَ والله، أو قصَّ إنسان عليك رؤيا فعبرْتها له، وقلت خيرًا لنا وشرًّا لعدوِّنا، أي: رأيت خيرًا لنا وشرًّا لعدونا [1]، حيث حذف ناصب المفعول به في كل ما سبق. وهو " في حكم الملفوظ به البتة، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به " [2].

وقد ورد حذف الفعل في شعر ابن زيدون على صورتين:

- الصورة الأولى: حذف الفعل وبقاء متممات الجملة: كما في قوله (من الطويل)[3]:

لَعمرُك ما للمالِ أَسْعَى فإنَّما

يرى المالَ أَسْنَى حظِّه الطَّبِعُ الوَغْدُ[4]

ولكن لحالٍ إن لبستُ جَمَالها

كسوتُك ثوبَ النُّصْحِ أعْلامُهُ الحمدُ

يقسم الشاعر للأمير أنه لا يسعى بغية تكسب المال – فهو غاية السفلة الأوغاد - ولكنه يسعى لبلوغ منزلة سامية، إذا نالها أخلص للأمير النصيحة، وخلع عليه

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٢٥٣ – ٢٥٨، المقتضب: ٢ / ٣١٨، الخصائص: ١ / ٢٨٥، ٢٨٦، أمالي ابن الشجري: ٢ / ١٠١، شرح المفصل: ١ / ١٢٥، ١٢٦.

(٢) الخصائص: ١ / ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) الديوان: ٣٦٥.

(٤) الطَّبع: الدَّنس، والوغد: الأحمق الدنيء ضعيف العقل. لسان العرب: ٨ / ١٢٠ (ط ب ع)، ١٥ / ٣٥٠ (وغ د).

حلل الثناء [1]. وقد حذف الفعل في البيت الثاني في قوله: ولكن (لحال) والتقدير: ولكن أسعى لحال، وسوغ الحذف هنا وجود ما يشير إليه في البيت الأول، كما أن حذف الفعل أتاح للشاعر أن يركز على المضمون الذي يريد أن يوصله للأمير، وهو رغبته في تولي منصب كبير في دولة بني جهور.

وقوله (من المتقارب) [2]:

إذا زِيعَ فلْيقْتَصِدْ مُسرفٌ مَساعيَ يَقْصُر عنها الخَفَضْ [3]

حيث جاء بالمفعول به (مساعيَ) وحذف الفعل والفاعل، والأصل (يجهل مساعيَ)، فالشاعر يهدد أبا عامر بن عبدوس – منافسه في حب ولادة – ويعاتبه ويقول له: إذا زجر المخطئ فليرتدع لأنه يجهل مآثرنا ومفاخرنا العظيمة التي يقصر عن بلوغها الأرذال والضعفاء [4]، إن اختفاء الفعل مع فاعله في هذا السياق أعطى المفعول به سمة البروز والظهور على نحو أوضح، مما لو ذكر الفعل مع الفاعل، حيث سيتوارى خلفهما المفعول به، وهو ما ينافي ما يريد الشاعر أن يبعث به إلى أبي عامر، حيث يريد لفت انتباهه إلى مآثره ومفاخره العظيمة، وذلك عن طريق حذف الفعل مع فاعله وجعْل المفعول به هو الركيزة الأساسية التي يسلط عليها الضوء.

– الصورة الثانية: حذف الفعل والاكتفاء بالمفعول المطلق:

يجوز حذف عامل المصدر والإبقاء على المصدر لدليل مقالي أو حالي، كأن يقال مثلا: ما جلست، فيقال: بلى جلوسًا طويلًا، أو بلى جلستين، والتقدير: جلستُ جلوسًا طويلًا، وجلست جلستين، أو يقال: حثيثًا لمن قال أي سيرٍ سرت؟ أو يقال

---

(١) انظر: الديوان: ٣٦٥ هامش (٣، ٤).

(٢) الديوان: ٥٨٣.

(٣) زيع: رُدَّ وكُفَّ، والمساعي: مآثر أهل الشرف والفضل، الخفض: رديء المتاع ورذاله. لسان العرب: ٦ / ١١٤ (زوع)، ٦ / ٢٧٢ (س ع ا)، ٣ / ٢٤١ (خ ف ض).

(٤) الديوان: ٥٨٣ هامش (٢).

لمن قدم من السفر: قدومًا مباركًا. والتقدير: قدمت قدومًا مباركًا، أو حجًّا مبرورًا لمن قدم من حجٍّ، أو سعيًا مشكورًا لمن سعى في مثوبة [1]، ومنه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[2]، والتقدير: فاضربوا الرقاب ضربا " فحذف الفعل، وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التوكيد المصدري"[3]. وقوله تعالى﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾[4]، أي " فإما أن تمنُّوا وإما أن تُفادوا "[5].

وقد وردت هذه الصورة في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من المتقارب)[6]:

أبا عامرٍ عثرةً فاسْتَقِلْ لتُبرمَ من وُدِّنا ما انتقضْ

فحذف الفعل مع فاعله، والأصل: عثرتَ عثرة، وأصل التركيب (يا أبا عامر لقد عثرت عثرة فاطلب إليَّ أن أقيلك منها). إن بسط العبارة بهذا الشكل يذهب بما أراد الشاعر أن يبعث به إلى أبي عامر بن عبدوس. فالبيت من قصيدة تحمل تهديد الشاعر ووعيده لأبي عامر، والتعبير بالمصدر مباشرة دون ذكر الفعل مع فاعله أمعن وأقوى في لغة التهديد لما يحمله من معنى التوكيد، كما أتيح للمصدر بعد حذف الفعل مع الفاعل أن يمثل مركز الثقل الدلالي في البيت. وقد اكتملت عناصر التهديد في البيت بوقوف الشاعر مرتين على التنوين في قوله: أبا عامرٍ، عثرةً، ولا

---

(١) انظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. لابن مالك. تحقيق محمد كامل بركات. دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م: ٨٨، وانظر: شرح التصريح على التوضيح: ١ / ٣٢٩، همع الهوامع: ١ / ١٨٨.

(٢) سورة محمد: ٤.

(٣) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين بن الأثير. تحقيق الدكتور: جميل سعد، والدكتور مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م: ١٢٨، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) سورة محمد: ٤

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٠٧.

(٦) الديوان: ٥٨٨.

شك أن التنوين يمثل رنة أحدثت قوة إسماع[1]، وهو ما يناسب مقام التهديد والوعيد.

وقوله (من الطويل)[2]:

عزاءً فَدتْك النَّفْسُ عنهُ فإن ثَوَى فإنَّك لا الفَانِي ولا الضَّرِعُ الغُمرُ[3]

فالبيت من قصيدة يرثي بها الشاعر أبا الحزم بن جهور ويطلب من ابنه الوليد أن يتعزى عن أبيه، وقد حذف الفعل والفاعل مستغنيًا عنهما بذكر المصدر، والتقدير: تعزَّ عزاء، والمصدر بدلالته المجردة على الحدث وإفادته معنى التوكيد، قد أضفى على المعنى صفة التحقيق بما يتناسب مع رغبة الشاعر في أن يتعزى الأمير عن أبيه الراحل، ويصبر على هذه المصيبة.

ثانيا: حذف الفاعل:

اختُلف في مسألة حذف الفاعل، فذهب بعضهم إلى امتناع حذفه محتجين لذلك بأن الفاعل عمدة، وأنه لا بد لكل فعل من فاعل، فهما بمنزلة الشيء الواحد لا يستغنى كل واحد منهما عن صاحبه، وأنهما كجزءي كلمة لا يستغنى بأحدهما عن الآخر "[4]، وذهبوا إلى أن الفاعل لا يحذف إلا في مواضع معينة، وما عداها فإنه عندهم لا يحذف مطلقًا.

---

(١) انظر: من وظائف الصوت اللغوي. محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي. للدكتور. أحمد كشك. مطبعة المدينة. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٣.

(٢) الديوان: ٥٢٨.

(٣) ثوى: هلك، والفاني: الشيخ الكبير، والضَّرِع: الخاضع، وتضرَّع: إذا خضع وذلَّ، والغمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور. لسان العرب ٢ / ١٥٣ (ث وا)، ١٠/ ١١٨، ٣٣٩ (غ م ر، ف ن ي)، ٨ / ٥٤ (ض ر ع).

(٤) انظر: المقتضب: ١ / ١٩، ٣/ ١١٥، ٤ / ٥٠، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٥٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٧٩٠، شرح شذور الذهب: ١٦٥، البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٢٧٤، شرح التصريح: ١ / ٢٧١، همع الهوامع: ١ / ١٦٠، شرح الأشموني: ٢ / ٤٤، ٤٥.

على حين ذهب آخرون إلى جواز حذفه اعتمادا على المعنى لأن الكلام "إنما يصلحه أو يفسده معناه"[1].

واستدل أنصار هذا الرأي على صحة مذهبهم بالشواهد التي ورد فيها الفاعل محذوفا لوجود القرينة التي تعيِّن المحذوف، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[2]، فحذف فاعل (بلغت) لأن التي تبلغ التراقي هي النفس " وذلك عند الموت، فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة، وإن كان الكلام خاليا من ذكرها "[3]، ومنه قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[4]، أي: الشمس وإن لم يجر لها ذكر[5]، ومنه قول العرب:(أرسلت) وهم يريدون: جاء المطر، ولا يذكرون لفظ السماء اعتمادا على قرينة الحال[6].

وأميل إلى ما ذهب إليه القائلون بجواز حذف الفاعل اعتمادا على القرينة؛ لأن ذلك يتوافق مع ما قرره النحاة بأن حذف ما يعلم جائز، كما أن الوارد المسموع يخالف ما ذهب إليه القائلون بمنع حذفه، كما يمكن الرد على الزركشي حينما أشار بأن الفاعل في الأمثلة السابقة مضمر وليس محذوفًا[7]، بأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره ولذلك فهو محذوف لا مضمر، يضاف إلى ذلك أن القائلين بالمنع قد وقعوا في تناقض حينما وصفوا الفعل والفاعل بأنهما كالشيء الواحد لا يستغنى كل واحد

---

(١) الخصائص: ٢ / ٤٣٥، وانظر: همع الهوامع: ١ / ١٦٠، المثل السائر: ٢ / ٢٣٢، ٢٣٣، الطراز للعلوي: ٢٥١.

(٢) سورة القيامة: ٢٦.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ٢٣٢، ٢٣٣، وانظر: الطراز للعلوي: ٢٥١، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٤٤.

(٤) سورة ص: ٣٢

(٥) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. لأبي البركات الأنباري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م: ١ / ٩٦، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٤٤.

(٦) انظر: المثل السائر: ٢ / ٢٣٢، ٢٣٣، الطراز: ٢٥٢.

(٧) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٤٤.

منهما عن صاحبه [1]، ثم نراهم بعد ذلك يجيزون حذف الفعل إذا دل عليه دليل مقالي أو حالي في حين يمنعون حذف الفاعل. ولذلك أميل إلى القول بجواز حذفه إذا فهم هذا الحذف من خلال السياق وبمعونة القرائن اللفظية أو الحالية المصاحبة له.

وقد ورد حذف الفاعل في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الرمل) [2]:

لم يُغادرْ لي شَفًى من جلَدٍ مع أنِّي لم أزلْ ثَبْتَ الغَدَرْ[3]

البيت من قصيدة هنأ فيها الشاعر المعتمد بعد عودته ظافرا من الحرب، وفي هذا البيت يشكو للمعتمد ما ألم به من جرَّاء بُعده عنه فى أثناء فترة الحرب فيقول " لم يترك بُعدك لي بقية من الجلد مع أنني قوي الجسم راسخ العزم سواء في ميادين القتال أو الجدال " [4]، وقد حذف الفاعل في قوله: لم يغادر لي شفى من جلد، والأصل: لم يغادر بعدُك لي شفى من جلد. إن حذف الفاعل هنا جعل القارئ ينصرف ببصره وذهنه إلى المفعول به مباشرة ليتمثل الحالة التي كان عليها الشاعر فى أثناء فترة الحرب وبُعد المعتمد عنه من خلال اتجاه الفعل إلى المفعول به مباشرة، فلا أهمية لذكر الفاعل بقدر ما تكون الأهمية إبراز حال الشاعر.

وقوله (من الوافر) [5]:

هو الملكُ الذي بَرَّتْ فسرَّتْ خلالٌ منه طاهرةُ النَّواحِي

حيث حذف فاعل الفعل (برَّت)، والأصل: برَّت أياديه، مما أعطى إحساسا

---

(١) انظر: المقتضب للمبرد: ٤ / ٥٠، شرح الأشموني: ٢ / ٤٥.

(٢) الديوان: ٥١٦.

(٣) الشَّفى: بقية الشيء، رجل ثبت الغدر: يثبت في مواضع القتال والجدل والكلام. لسان العرب ٧ / ١٥٨ (ش ف ي)، ١٠/ ٢٣ (غ د ر).

(٤) الديوان: ٥١٦ هامش (١).

(٥) الديوان: ٤٣٠.

بكثرة عطايا الملك وإحسانه إلى رعيته، كما أضفى الحذف على الفاعل نوعًا من الرفعة وعلو الشأن عن طريق التركيز على الحدث فقط دون ذكر الفاعل.

ثالثا: حذف المفعول به:

أشار النحاة إلى أن المفعول به من مكملات الجملة؛ لذا يجوز حذفه من الكلام، فقد " تستقل الجملة دونه وينعقد الكلام من الفعل والفاعل بلا مفعول "[1]، وفرَّقوا بين حذفه اختصارًا وحذفه اقتصارًا، وذهبوا إلى أن المفعول به المحذوف اختصارا لا بد له من دليل لفظي أو حالي يدل عليه، أما المحذوف اقتصارًا فلا دليل على حذفه، حيث يتساوى جواز الحذف ومنعه، وأن يكون المحذوف واحدًا أو أكثر[2].

وبالرغم من أن النحاة قد اعتبروا المفعول به من مكملات الجملة، فإن هناك من البلاغيين من فطن إلى أهمية المفعول به، وأنه لا يقل أهمية عن الفاعل، فلم يعد الفاعل فقط هو العمدة؛ فقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن " حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه، حاله مع الفاعل "[3]، فإذا أسند الفعل إلى الفاعل في قولنا: ضربَ زيدٌ، كان الغرض إثبات وقوع الضرب منه، لا إفادة وجود الضرب في نفسه فقط، وإذا تعدى الفعل إلى المفعول في قوله: ضَربَ زيدٌ عمرًا، كان الغرض إفادة وقوع الضرب عليه " فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما، فعملَ الرفع في الفاعل؛ ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه "[4].

---

(١) شرح المفصل: ٢ / ٣٩.

(٢) انظر: شرح التصريح: ١ / ٢٦٠، حاشية الشيخ ياسين على التصريح: ١ / ٢٦٠، شرح الأشموني: ٢ / ٩٣.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٥٣، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩٥.

(٤) دلائل الإعجاز: ١٥٣، الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩٥.

ويفهم من كلام عبد القاهر أنه يعوِّل على السياق، باعتبار أنه قد يتساوى فيه الفعل المتعدي مع الفعل اللازم، إذا كان المراد الاقتصار على إثبات المعاني التي اشتقت منه للفاعل من غير تعرض لذكر المفعول، فلا نرى للفعل مفعولا لا لفظا ولاتقديرا، فيكون المتعدي كاللازم [1]، كما أشار إلى أنه قد يكون للفعل مفعول مقصود معلوم، إلا أنه يحذف لدلالة الحال عليه، كقولهم (أصغيتُ إليه) أي: أُذني، و(أَغْضيتُ عليه) أي: جَفني [2].

ويبدو أن عبد القاهر كان لا ينظر إلى الجملة باعتبار أن فيها عناصر مهمة وأخرى أقل أهمية، بل إن هذه العناصر تكتسب أهميتها لديه من خلال السياق، فليست الكلمة عنده هي نقطة البدء، بل السياق هو نقطة البدء لديه، وعلى ذلك يجب رصد السياق أولاً، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها ببعضها داخل السياق[3].

وقد تعددت صور حذف المفعول به في شعر ابن زيدون، وتنوعت على نحو يوحي بثراء هذا الجانب لديه، وذلك على النحو الآتي:

*** حذف المفعول به لفعل يتعدى إلى مفعول به واحد:**

وردت هذه الصورة في شعر ابن زيدون لتحقيق ما يأتي:

- **سيطرة الحدث على نفس المتكلم:** كما في قوله (من الكامل) [4].

اخْطُبْ فمُلكُكَ يَفقِدُ الإمْلاكَا واطْلُبْ فسَعْدُك يَضْمنُ الإدْرَاكَا[5]

فقد حذف الشاعر المفعول به للفعل (اخطب)، والتقدير: اخطب فلانة، وهو يخاطب المعتضد ويحثه على الزواج ليكون له نسل يحافظ على ملكه ويُقوِّيه، وفي هذا

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز: ١٥٤

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: ١٥٥.

(٣) انظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٤١، ٢٤٢

(٤) الديوان: ٤٣٨.

(٥) الإملاك: عقد الزواج. لسان العرب: ١٣ / ١٨٤ (م ل ك).

السياق حُذف المفعول به، فهو لا يهمه من يتزوج المعتضد، بقدر ما يهمه زواج المعتضد نفسه.

- **إطلاق الحدث**: كما في قوله (من الرمل) [1]:

إنَّ مَنْ أضْحَى أباه جَهورٌ قالت الآمالُ عنه فَفَعلْ

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، ويقول: إن من ينتسب إلى جهور جدير بالفخار؛ لأنه يحقق أكبر الآمال [2] وقد حذف مفعولي الفعلين (قال، فعل)، وقد أتاح هذا الحذف للسامع أن يتخيل كل ما يمكن أن يقال من آمال، ويقوم الأمير بتحقيقها، ولا يمكن لأي مفعول أن يبرز هذا المعنى كما أراد الشاعر، بل ذكر المفعول به هنا يحدد الفعل في نطاق ضيق.

ومن ذلك قوله (من المتقارب) [3]:

فديتُك مولًى إذا ما عَثرتُ أَقَال ومهْما أَزِغْ أرْشَدَا

البيت في مدح المعتضد بن عباد، وقد حذف الشاعر مفعول الفعل (أقال)، والتقدير: أقال عثراتي، وقد أوحى الحذف هنا بأنه مهما عظمت ذنوب الشاعر، ومهما كثرت عثراته، فإنه يجد الأمير رحب الصدر مقيلا للعثرات.

- **استهجان المفعول به**: كما في قوله (من الكامل) [4]:

قُلْ للبُغاة المُنْبِضينَ قِسيَّهمْ سَتَرَوْن من تُصْميهِ تلك الأسْهُمُ[5]

---

(١) الديوان: ٣٤٠.

(٢) انظر: الديوان: ٣٤٠ هامش (٢).

(٣) الديوان: ٢١٦.

(٤) الديوان: ٣١٤.

(٥) الإنباض: أن تمدَّ الوتر ثم تُرسله فتسمع له صوتا، وأنبض القوس: جذب وترها لتُصوِّت، وتصميه: أصْميتُ الصيد إذا رميته فقتلته، والشيحان: الغيور الحذر على حرمه. لسان العرب: ١٤ / ٢١ (ن ب ض)، ٧ / ٤١٥ (ص م ا)، ٧/ ٢٥٣ (ش ي ح).

أَسْرَرْتُـم فـرأَى نجـيَّ غُيـوبِكُمْ شـيْحانُ مَـدلولٌ عليهـا مُلْهِـمُ

انتهز أعداء الشاعر فرصة موت المعتضد بن عباد، وتولِّي ابنه المعتمد الحكم، فحاولوا الوقيعة بين الوالي الجديد والشاعر، ولكن مؤامرتهم قد انكشفت، وارتدت إليهم سهامهم بعد ما أخفوه من المكر ودبروه من المكائد، فلم يتأثر الأمير بهذه الدسيسة وكشفها بفطرته وتدبيره الحكيم [1]. وقد حذف الشاعر مفعول الفعل (أسررتم) والتقدير: أسررتم المكر أو الخديعة أو الدسيسةَ، وفي هذا السياق يستنكر عليهم فعلتهم هذه حتى إنه يأنف من ذكرها أو الإشارة إليها.

- **عدم تحقيق المطلوب**: كما في قوله (من الطويل) [2]:

أَبَا الحزْمِ قد ذابَتْ عليك مـن الأسَـى قُلوبٌ مُناهَا الصَّـبرُ لو ساعدَ الـصَّبرُ

فجع موت أبي الحزم قلوب الرعية، حتى أصبح أكثر ما يتمنونه الظفر بنفحة من الصبر الذي لا سبيل إليه. وقد حُذف مفعول الفعل (ساعد) والتقدير(ساعدها الصبر). إن حذف الضمير العائد على الرعية في هذا السياق ليشير إلى عدم تحقيق ما يتمنونه من الصبر، وذلك لعظم المصيبة.

- **عموم الفعل**: وذلك في قوله (من الكامل) [3]:

إيهًـا بنـي ذَكْـوانَ إنْ غَلَـبَ الأسَـى فلكُـمْ إلى الـصَّبرِ الجميـلِ مَـآلُ

البيت من قصيدة يرثي بها الشاعر صديقه أبا بكر بن ذكوان، ويحث بني ذكوان على أن يكفوا عن الأسى، وأن يتحلوا بالصبر، وقد حذف مفعول الفعل (غلب)، والتقدير: غلبكم الأسى، وقد أوحى حذف المفعول به هنا بأن الحزن على فراق أبي بكر بن ذكوان لا يقتصر على بني ذكوان فقط، بل يشاركهم في هذا الحزن عامة الناس.

---

(١) انظر: الديوان: ٣١٤ هامش (١، ٢).
(٢) الديوان: ٥٢٦.
(٣) الديوان: ٥٣٨.

ويقول (من المتقارب) [1]:

فَـــديْتُك مـــولًى إذا مـــا عَثـــرْتُ أَقَـــالَ ومهـــما أزغْ أَرْشَـــدَا

حذف الشاعر مفعول الفعل (أرشد) والتقدير (أرشدني)، وحذف المفعول به في هذا السياق يشير إلى أن إرشاد الغاوين وهدايتهم سلوك عام للأمير يتبعه مع سائر الناس. أما لو ذكر المفعول به هنا لأوحى ذلك بقَصْر تصرف الأمير على الشاعر فقط، وذلك ينافي ما يتصف به الأمير من العفو وهداية الغاوين.

- **تحقيق عنصر السرعة**: كما في قوله (من الطويل) [2]:

دَعوتَ فقال النصرُ لبَّيكَ مَاثِلاً ولم تكُ كالدَّاعي يُجَاوبُه الصَّدَى

البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر المعتضد بعد عودته من الحرب منتصرًا، وقد حُذف المفعول به للفعل دعوت، والتقدير: دعوت الله، والمفعول به هنا معلوم من السياق، فالدعاء لا يكون إلا لله عز وجل، وقد أوحى حذف لفظ الجلالة هنا بسرعة استجابة الدعاء، فما كاد الأمير يتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل راجيًا منه النصر حتى جاءه النصر، في حين أن غيره يدعو الله عز وجل فلا يجيبه إلا رجع صوته في الدعاء.

*** حذف المفعول به الأول لفعل يتعدى إلى مفعولين:**

قسَّم النحاة الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين إلى نوعين، نوع لا يكون فيه الفعل من أفعال الشك واليقين ولا تدخل على المبتدأ والخبر نحو: أعطى وكسا، فهذه الأفعال يجوز فيها حذف أحد مفعوليها، قال سيبويه" هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول، وذلك قولك: أعطى عبدُ الله زيدًا درهمًا، وكسوتُ بشرًا

---

(١) الديوان: ٢١٦.

(٢) الديوان: ٤٦٨.

الثياب الجياد "[1]، وعلل النحاة لذلك بأن الفعل في هذه الحالة يقع على مفعولين مختلفين في المعنى، فعندما تقول: كسوتُ زيدًا ثوبًا، وأعطيتُه درهمًا، لا يجوز حذف الفعل مع الفاعل فيقال: زيدٌ ثوبٌ، أو زيدٌ درهمٌ؛ لأن المفعول الثاني يخالف المفعول الأول في المعنى[2].

أما النوع الآخر من الأفعال المتعدية إلى مفعولين فهي أفعال الشك واليقين التي تدخل على المبتدأ والخبر نحو: ظنَّ وحَسِب، فهذه الأفعال لا يجوز فيها الاقتصار على أحد المفعولين دون الآخر، قال سيبويه: " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر، وذلك قولك: حَسب عبدُ الله زيدًا بكرًا، وظنَّ عمرٌو خالدًا أباك... " [3]، والعلة في عدم جواز الحذف هنا هو أن هذه الأفعال تدخل على المبتدأ والخبر ولا بد لكل واحد منهما من الآخر، فبهما تتم الفائدة، فالشك أو اليقين يقع في المفعول الثاني ويذكر المفعول الأول لبيان من أسند إليه هذا الخبر[4].على حين أشار بعضهم إلى جواز حذف أحد المفعولين عند الجمهور على قلة؛ لوجود دليل على المحذوف، أما إذا لم يوجد دليل امتنع الحذف بلا خلاف [5].

وقد ورد حذف المفعول به الأول لفعل يتعدى إلى مفعولين في شعر ابن زيدون، وذلك للغرضين الآتيين:

- **الأول: سيطرة الحدث على نفس المتكلم:** كما في قوله (من البسيط) [6]:

لأسْتجدَّنَّ في عِشْقي لها زمنًا يُنْسي سَوالفَ أيّامي وأزْمانِي

---

(١) كتاب سيبويه: ١ / ٣٧، وانظر: المقتضب: ٣ / ٩٣، ١٨٨، شرح المفصل: ٧ / ٨٢.
(٢) انظر: المقتضب: ٣ / ١٨٩، شرح المفصل: ٧ / ٨٢.
(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٣٩، والمقتضب: ٣ / ١٨٨، شرح المفصل: ٧ / ٣٨.
(٤) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٤٠، والمقتضب: ٣ / ١٨٩، شرح المفصل: ٧ / ٣٨.
(٥) انظر: ارتشاف الضرب. لأبي حيان الأندلسي. تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس. مطبعة المدني. الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م: ٣ / ٥٦.
(٦) الديوان: ١٩٢.

لقد صارحت ولادة الشاعر بالعداء، واستبدلت به غيره، فثارت ثائرته، وأخذ يعلن أنه استعاض عنها بأخرى، وسيعيش عهد حب جديد ينسيه حبه القديم، وفي هذا السياق حذف المفعول الأول للفعل (ينسي) والتقدير: ينسيني، ولا حاجة لذكر المفعول به هنا، فمعلوم من السياق أنَّ الشاعر يتحدث عن نفسه، ولكن نسيان حبه القديم هو المسيطر على عقله ووجدانه.

- **الثاني: الاحتقار**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

طويلُ عِثارِ الجُرمِ قُلْتَ له لَعَا ... بِحِلْمٍ تَلقَّى جَهْلَه فتغمَّدا [2]

تجنَّى فأهديْتَ النَّصيحةَ محْضةً ... ولجَّ فواليْتَ العِقابَ مردَّدَا

يتحدث الشاعر عن هذا الذي حاربه المعتضد وانتصر عليه، ويقول: طالما أقلت عثرات هذا الإنسان بحلمك، وغمرت ذنوبه بعفوك، وهو مستمر في ضلاله، وقد أخذ يتصنع الأسباب للمجاهرة بعدائك، فنصحته، فلما أبى قبول النصيحة أنزلت به العقاب[3]. وقد حذف الشاعر مفعول الفعل (أهدى) والتقدير: أهديته، وحذف المفعول هنا أعطى إحساسًا بأن هذا الإنسان الذي قابل الإحسان بالإساءة، والنصيحة بالجحود لا يستحق حتى مجرد الذكر أو الإشارة.

*** حذف مفعولي الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين:**

يجوز في باب (أَعْطَى وكسا) حذف المفعولين والسكوت على الفاعل؛ لأن الكلام حينئذ " جملة من فعل وفاعل يحصل للمخاطب منها فائدة، وهو وجود الإعطاء والكسوة " [4]، أما أفعال القلوب من باب ظنَّ وأخواتها، فقد اختلف

---

(١) الديوان: ٤٧١.

(٢) لعا: دعاء للعاثر لينهض من عثرته، وتجنى: ادَّعى الذنوب، ولجَّ في الأمر: تمادى، لسان العرب: ١٢ / ٢٩٤ (ل ع ا)، ٢ / ٣٩٣ (ج ن ي)، ١٢ / ٢٣٨ (ل ج ج).

(٣) انظر: الديوان: ٤٧١ هامش (٣، ٤).

(٤) شرح المفصل: ٧ / ٨٣.

النحاة في جواز الحذف، فذهب بعضهم إلى جواز حذف المفعولين لدليل[1]، على حين منعه آخرون محتجين لذلك بأن السكوت على الفاعل لا فائدة فيه " لأنه قد علم أن العاقل لا يخلو من ظنٍّ أو علمٍ، فإذا قلت: ظننتُ أو علمتُ، لم يجز؛ لأنك أخبرته بما هو معلوم عنده "[2]، وإنما تتحقق الفائدة بذكر المفعولين.

وقد ورد حذف المفعولين معا لفعل يتعدى إلى مفعولين في شعر ابن زيدون وذلك في قوله (من الرمل)[3]:

مَلِكٌ لَذَّ جنَى العيش به ... حيثُ وِرْدُ الأَمْنِ للصَّادِي عَلَلْ[4]

أَحْسَنَ المحسنُ منَّا فَجَزَى ... مثلما لَجَّ مسيءٌ فاحْتَمَلْ

فقد حَذف مفعولي الفعل (جزى)، والتقدير مثلا: فجزى المحسنَ خيرا، والشاعر يمدح أبا الوليد بن جهور، ويقول إن الحياة في ظله قد طابت، فقد استقر الأمن وتعددت موارد السعادة، كما أنه يكافئ المحسن على إحسانه، ويقابل المسيء بالإحسان، وحذف المفعولين هنا جعل الفعل مطلقًا غير مقيد، فهو واسع النطاق ممتد الأثر، مما يتيح للسامع أن يتمثل كل خير يمكن أن يهبه الأمير للمحسنين، والشاعر بذلك يرتفع بالأمير إلى أعلى مراتب الكرم.

*** حذف المفعول به لاسم الفاعل:**

يعمل اسم الفاعل المجرد من (أل) عمل فعله من الرفع والنصب إن كان مستقبلًا أو حالًا، بشرط أن يعتمد على شيء قبله كأن يقع بعد الاستفهام أو النداء

---

(١) انظر: شرح المفصل: ٧ / ٨٣، تسهيل الفوائد: ٧٠، ارتشاف الضرب: ٣ / ٥٦، شرح شذور الذهب: ٣٧٧.

(٢) شرح المفصل: ٧ / ٨٣.

(٣) الديوان: ٣٤٠.

(٤) الصّدَى: شدة العطش، والصَّادي: الظَّمآن، والعَلَلُ: الشُّرب بعد الشرب تباعًا. لسان العرب: ٧ / ٣١١ (ص د ي)، ٩ / ٣٦٥ (ع ل ل).

أو النفي، أو أن يقع نعتا أو حالا أو مسندا[1]، أما إذا كان معرفا بأل عمل ماضيا ومستقبلا وحالا [2].

وقد ورد حذف مفعول اسم الفاعل في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل)[3]:

لكَ الخيرُ إنِّي قائلٌ غيرُ مُقْصرٍ فمن لي باسْتِيفاء ما أنت فاعلُ

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، ويقول: إنه سيصوغ فيه آيات المدح والثناء، ولكنه لن يستطيع أن يفي الأمير حقه لأنه لا يقدر على الإحاطة بجميع أفعاله، وقد حذف مفعولي اسمي الفاعليْن (قائل)، (فاعل) فتركهما مطلقين لم يقيدا بمفعول به، وقد أعطى هذا الحذف إحساسا بأن الشاعر لا يكف عن قول المدح والثناء على الأمير، كما أن أفعال الأمير الغرَّاء لا يمكن الإحاطة بها فلا حد لها ولا حصر.

*** حذف المفعول به لصيغة المبالغة:**

تعمل صيغ المبالغة عمل اسم الفاعل وبشروطه [4]، وقد ورد حذف المفعول به لصيغة المبالغة في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من المتقارب) [5]:

وغرَّك مِنْ عهد فعَّالةٍ سرابٌ تَراءَى وبرقٌ ومَضْ

يخاطب الشاعر أبا عامر بن عبدوس، محدثا إياه عن ولادة، ويقول له: لقد غرَّك من فعلها وعودٌ كاذبة وآمال خادعة كالسراب الكاذب، وقد حذف المفعول به لصيغة المبالغة (فعَّالة)، وحذْف المفعول به بهذا الشكل، يجعل المتلقي يضم إلى

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر: ٢ / ٨٦، ٨٧.

(٢) انظر: السابق: ٢ / ٨٩.

(٣) الديوان: ٣٩٤.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢ / ٩٠.

(٥) الديوان: ٥٨٧.

ولادة كل ما يتبادر إليه الذهن من أفعال قبيحة، من خلال تصور مفاعيل كثيرة لصيغة المبالغة، فأفعالها القبيحة لا يمكن حصرها في مفعول واحد.

*** حذف مفعول المشيئة:**

يجوز حذف المفعول به بعد أفعال المشيئة والإرادة، كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[2]، فمفعول (شاء) محذوف فى الآيتين، وتقديره: ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب، ومنه أيضا قول البحتري:[3]

لو شئتَ لم تُفسِدْ سَماحةَ حاتمٍ كرمًا ولم تَهدِمْ مآثرَ خالدِ

وحذف مفاعيل المشيئة والإرادة بعد (لو وحروف الجزاء) كثير شائع الاستعمال، ولا تكاد هذه المفاعيل تظهر إلا في الأشياء المستغربة المتعجب من حالها[4]،كقوله تعالى ﴿ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾[5].

ومن ذلك قول الشاعر[6]:

---

(١) سورة الأنعام: ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٠.

(٣) البيت من الكامل، والشاهد فيه: حذف مفعول المشيئة، والتقدير: لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، والبيت في ديوان البحتري. شرح وتحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية: ١ / ٥٠٨، من قصيدة بدايتها:

عجبا لطيف خيالك المتعاهد ولوصلك المتقارب المتباعد

وأيضا في دلائل الإعجاز: ١٦٣، المثل السائر: ٢ / ٢٤٠، الجامع الكبير: ١٢٦، الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩٩، الطراز: ٢٥٢.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز: ١٦٥، المثل السائر: ٢ / ٢٤١، الجامع الكبير: ١٢٧، الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩٩، الطراز: ٢٥٢.

(٥) سورة الزمر: ٤.

(٦) البيت من الطويل للخريمي والشاهد فيه: ذكر المفعول به مع فعل المشيئة لأنه من الأمور المستغربة. والبيت في ديوان الخريمي. تحقيق: على جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد. دار الكتاب الجديد.=

فلـو شـئتَ أن أَبكِـي دمـا لبكيتُـهُ عليكَ ولكنْ ساحةُ الـصَّبرِ أَوسـعُ

ومن الغريب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما؛ لذلك ذكر المفعول به ولم يحذف.

وقد ورد حذف مفعول الفعل (شاء) في شعر ابن زيدون، وذلك في قولـه (مـن الخفيف) [1]:

بـأبي أنْـتَ إن تـشأْ تـكُ بَـردًا وسـلامًا كنـارِ إبـراهيمْ

فالبيت من قصيدة كتبها الشاعر في سجنه يستعطف فيها الأمير، ويطلب منـه أن يحسن إليه، وأن يُحوِّل حياته من شقاء السجن إلى نعيم الحياة، وقد حذف المفعول به للفعل (شاء) والتقدير: إن تشأ أن تكون بردًا وسلاما، تكن بـردًا وسـلامًا، وبـسط العبارة بهذا الشكل يضفي على الكلام طولاً في الوقت الذى يتعجل الشاعر الأمـير بالإحسان إليه وإخراجه من السجن.

*** حذف مفعول الاستطاعة:**

ورد حذف المفعول به للفعل (استطاع) في شعر ابن زيدون وذلك في قولـه (مـن الطويل)[2]:

ولو أَنَّني أسْطيعُ كـي أُرْضيَ العِـدَا شَريْتُ ببعضِ الحِلْم حظًّا من الجَهْـلِ

حذف الشاعر مفعول الفعل (استطاع)، والتقدير: ولو أننـي أسـتطيع أن أشري ببعض الحلم حظًّا من الجهـل كـي أرضي العـدا لـشريت، فالـشاعر يقـاسي مـرارة الاعتقال، ويعيش حالة حزن شديد، فلم يقترف ذنبًا يودي به إلى السجن، فالأعداء هم الذين دبروا له المكائد، وكانوا سببًا في اعتقاله؛ لأنهـم أبغـضوه وحقـدوا عليـه، لغزارة علمه، ولو استطاع أن يتنازل عن قسط من العلم، ويشتري به جهـلاً؛ ليبـدد

= بيروت. الطبعـة الأولى ١٩٧١م: ٤٣، ديـوان المعـاني: ٢ / ١٧٥، دلائـل الإعجـاز: ١٦٤، المثـل السائر: ٢ / ٢٤١، الجامع الكبير: ١٢٧، الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩٩.

(١) الديوان: ٢٨٣.

(٢) الديوان: ٢٦٣.

غيظهم وينال رضاهم لفعل[1]، والحذف في هذا السياق يتوافق مع حال الشاعر التي تقتضي الاقتضاب في الكلام؛ لأنه في حال يكون فيها غير قادر على الإطناب.

رابعًا: حذف الضمير المنصوب العائد على الاسم الموصول من جملة الصلة:

اشترط النحاة في الاسم الموصول أن يكون له جملة صلة لا يتم معناه إلا بها[2]، ولا تكون جملة الصلة إلا كلاما تامًّا نحو " الابتداء والخبر، والفعل والفاعل، والظرف مع ما فيه، نحو: في الدار زيدٌ"[3]، واشترطوا في جملة الصلة هذه عائدًا يعود على الاسم الموصول، فلا " تكون هذه الجملة صلة له إلا وفيها ما يرجع إليه من ذكره "[4]، وهذا العائد "هو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول ويؤذن بتعلقها بالموصول إذ كانت الجملة عبارة عن كل كلام تام قائم بنفسه، فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله أذن بتعلقها به "[5].

وقد أجاز النحاة حذف هذا الضمير بشروط، حصروها فيما يأتي[6]:

- إذا كان الضمير متصلًا غير منفصل، فإن كان منفصلًا لم يجز حذفه.
- أن يكون منصوبًا بفعل تام أو بوصف غير مقترن بالألف واللام.
- أن يكون متعينًا للربط، فلو كان غير متعين لم يجز حذفه، نحو: جاء الذي أكرمتُه في داره، فإن العائد أحد الضميرين، وليس المنصوب بعينه.
- أن يكون غير مؤكِّد؛ لأن التأكيد ينافي الحذف.

وعلل النحاة حذف الضمير العائد من جملة الصلة لطول الكلام؛ فإن الموصول والصلة بمنزلة الاسم الواحد، فحسن الحذف لَمَّا جرت أربعة أشياء مجرى شيء

---

(١) انظر: الديوان: ٢٦٣ هامش (٥).
(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٠٦.
(٣) المقتضب: ١ / ١٩.
(٤) المقتضب: ١ / ١٩، وانظر: الأصول في النحو: ٢ / ٢٢٣، ٣١٥.
(٥) شرح المفصل: ٣ / ١٥١
(٦) انظر: المقتضب: ١ / ٢٠، شرح التصريح: ١ / ١٤٤، ١٤٥، حاشية الشيخ يس على التصريح، ١ / ١٤٤، شرح الأشموني: ١ / ١٧٠، ١٧١، حاشية الخضري: ١ / ٨١، ٨٢.

واحد، وهي الموصول والفعل والفاعل والمفعول، فحذفت الهاء تخفيفا، وكانت الهاء أولى بالحذف، فلا يحذف الموصول لأنه هو الذي يقع عليه المعنى، ولا يحذف الفعل لأنه هو الذي يوضِّح الموصول، ولا يحذف الفاعل لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل، فحذفوا المفعول به؛ لأن الفعل قد يقع ولا مفعول فيه، نحو: قام زيدٌ، وجلس خالدٌ [1]. وعلى هذا يصح القول: بلغني ما صنعتَ، ورأيتُ من ضربتَ، وأكرمتُ من أهنتَ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾[3]، وكل هذا على تقدير هاء محذوفة.

وقد ورد حذف الضمير المنصوب العائد على الاسم الموصول من جملة الصلة في شعر ابن زيدون، محققا المعاني الآتية:

- **التهويل**: حيث يقول (من الطويل) [4].

هُوَ الدَّهرُ فاصبرْ للذي أحدثَ فمن شيمِ الأبرارِ في مِثْلها الصبرُ

البيت من قصيدة يرثي بها الشاعر أم أبي الوليد بن جهور، ويحث الأمير على الصبر على تلك المصيبة، فالصبر من شيم الأبرار، وقد حذف الضمير المنصوب العائد على اسم الموصول في قوله: أحدث الدهر، والتقدير: أحدثه الدهر، وقد أوحى هذا الحذف بعظم المصيبة، وفداحة الأمر الذي حل بأبي الوليد.

وقوله (من البسيط) [5]:

لو شاء حَمْلِي نسيمُ الصُّبح حين وافَاكُم بفتىً أَضْنَاهُ ما لاقَى

البيت من قصيدة بعث بها الشاعر إلى ولادة بعد عودته إلى قرطبة مستخفيا، بعد

---

(١) انظر: المقتضب: ١ / ١٩، أمالي ابن الشجري: ١ / ٥، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٦١.
(٢) سورة الفرقان: ٤١.
(٣) سورة الإسراء: ٦٢.
(٤) الديوان: ٥٣٩.
(٥) الديوان: ١٤٠.

أن كان قد فرَّ منها ولجأ إلى إشبيلية هربا من عقاب أبي الحزم، وقد حذف الضمير المنصوب العائد على الاسم الموصول في قوله (ما لاقى)، وهذا الحذف أعطى إحساسا بهول ما لقيه من عذاب بسبب بعده عن قرطبة، حتى إن نسيم الصبح لو استطاع حمله وهو سارٍ نحو قرطبة، لجاء إليهم بفتًى مجهدٍ أرهقه ما قاسى.

- **التعظيم**: كما في قوله (من الكامل) [1]:

ولَّى أبو بكر فراعَ له الوَرَى هولٌ تقاصرُ دونَه الأهوالُ

قمرٌ هَوَى في التُّربِ يُحثَى فوقَه لله ما حازَ الثَّرى المنْهالُ

لقد مات أبو بكر بن ذكوان، وأصاب موته الناس بنكبة تقصرعن هولها أشد النكبات، فابن ذكوان قمر هوى إلى التراب، ففي ذمة الله ما طواه الثرى المنهال من أمجاد وفضائل [2]، وقد حذف الضمير العائد على الاسم الموصول في قوله: ما حاز الثرى، والتقدير: ما حازه الثرى، وترك الفعل مطلقا غير محدد بالضمير أعطى إحساسا بعظمة الميت، وعظمة مآثره وأفضاله التي يعجز عنها الحصر والوصف.

- **تقدير أكثر من محذوف**: حيث يقول (من الوافر) [3]:

وقاكَ الله ما تخْشَى ووالَى عليكَ بصُنْعه المغْدِي المَراحِ

يدعو الشاعر للأمير بأن يحفظه الله من كل سوء يخشاه، وأن يوالي عليه نعمه في الغدو والرواح،وقد حذف الضمير العائد على الاسم الموصول في قوله: ما تخشى، والتقدير: ما تخشاه، وذكر الضمير هنا يحصر ما يخشاه الأمير في شيء محدد، أما حذفه فجعل الفعل مطلقا يشمل كل شيء يخشاه الأمير.

وقال (من المتقارب)[4]:

---

(١) الديوان: ٥٣٢.

(٢) انظر: الديوان: ٥٣٢ هامش (١، ٢).

(٣) الديوان: ٤٣٤.

(٤) الديوان: ٤٢٣.

فـــما وَعَـــدَ الظَّـــنُّ إلا وفَى ولا قالـــت الـــنَّفسُ إلا فعـــلْ
فلقَّـــى مناوئَـــه مـــا اتَّقَـــى وأعطَـــى مُؤَمِّلـــه مـــا ســـألْ

حذف الشاعر الضمير العائد على الاسم الموصول في قوله (ما اتقى) و(ما سأل)، وقد أوحى هذا الحذف بأن الأمير أنزل بأعدائه كل ما كانوا يحذرونه من ألوان العقاب، كما منح آمليه كل ما سألوه إياه من هبات.

- **التركيز على الحدث**: كما في قوله (من الوافر) [1]:

ألا هـل جـاءَ مـن فارقْـتُ أنِّي بـسَاحاتِ المُنَـى رَفِـلُ المِـراحِ[2]

البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر المعتضد بن عباد، بعد فراره من قرطبة، تاركًا أبا الحزم بن جهور، ومرتميا في أحضان المعتضد بإشبيلية. ويقول: هل يعلم من فارقته ورحلت عنه أني وجدت خيرًا منه، وأنني أجر ذيول التيه والغبطة في أرحب مكان تحت ظلال ملك كريم [3]، وفي هذا السياق حذف الضمير العائد على الاسم الموصول في قوله: من فارقت، ولم يقل: من فارقته، والضمير العائد على أبي الحزم هنا ليس محور اهتمام الشاعر، بل ينصب اهتمامه على الفعل، فهو يريد أن يخبر أبا الحزم أنه أصبح مفارقًا له، مبتعدا عنه، ينعم بالأمن والاستقرار في ظل بني عباد.

خامسًا: حذف الجار والمجرور المتعلقين بالفعل:

يرتبط الجار والمجرور بالفعل أو ما شابهه من حيث الدلالة على الحدث ارتباطًا وثيقًا، ولا أدل على قوة هذا الارتباط من أنه اصطلح على تسميته بـ (التعلق)، وذلك أن الجار والمجرور هما اللذان يحددان أحيانًا معنى الفعل بنوع الحرف الذي يتعلق به، مثل (رَغِب عن كذا)، و(رَغِب في كذا)، فإن تعدية الفعل بـ (عن)

---

(١) الديوان: ٤٣٥.

(٢) رفل: جرذيله وتبختر، والمراح: التبختر والاختيال. لسان العرب: ٥ / ٢٧٦ (رف ل)، ١٣ / ٦٧ (م رح).

(٣) انظر: الديوان: ٤٣٥ هامش (٤).

صرفت معناه إلى الابتعاد والتجنب، أما تعديته بـ(في) فصرفت معناه إلى حب الشيء والوقوع فيه[1].

إلا أن الجار والمجرور قد يحذفان من الكلام إذا وجد ما يدل عليهما، وذلك كقوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[2]، أي " أخفى من السر "[3]، وقوله تعالى ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً ﴾[4]، أي: بسيئ، ﴿ وَآخَرَ سَيِّئاً ﴾[5]، أي: بصالح[6].

وقد ورد حذف الجار والمجرور في شعر ابن زيدون، وذلك لتحقيق الأغراض الآتية:

- **توسيع المعنى وإطلاقه**: وذلك في قوله (من الطويل)[7]:

إذا اعْتَرَف الجاني عَفَا عفْو قادرٍ ... عَلاَ قدرُه عنْ أنْ يلجَّ به حِقْدُ

وقوله (من الطويل)[8]:

إذا عَثَر الجاني عفا عَفْو حَافظٍ ... بنُعْمَى لها في المُذْنبين ذنَابُ[9]

فقد حذف الجار والمجرور المتعلقين بالفعل (عفا) في البيتين، والتقدير: عفا عنه، وقد أوحى هذا الحذف بأن عفو الأمير عام شامل لا يقتصر على جانٍ بعينه، بل يمتد ليشمل سائر الجناة.

---

(١) انظر: بناء الجملة العربية. للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف. طبعة دار الشروق. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م: ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

(٢) سورة طه: ٧.

(٣) كتاب الشعر: ٢١٥.

(٤) سورة التوبة: ١٠٢.

(٥) سورة التوبة: ١٠٢.

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٥٣.

(٧) الديوان: ٣٦٠.

(٨) الديوان: ٣٧٦.

(٩) الذناب: جمع ذنوب وهو الحظ والنصيب. لسان العرب: ٥ / ٦٤ (ذ ن ب).

وقال (من المتقارب) [1]:

وأنِّي إن زُرْتُ لم تَحْتجـــــــــبْ وإنْ طَـــال بي مجْلِـــسِي لم تَمَـــلْ

حذف الشاعر الجار والمجرور في قوله: لم تحتجب، والتقدير: لم تحتجب عني، وذكر الجار والمجرور هنا قد يُفهم منه أن الأمير لا يحتجب عن الشاعر بل يحتجب عن غيره، أما حذف الجار والمجرور فقد أعطى الفعل صفة الإطلاق وجعله غير مقيد، فالأمير لا يحتجب عن الشاعر ولا عن غيره من سائر الناس.

- **الاستهجان**: كما في قوله (من الكامل) [2]:

يا ليتَ شعْري هل يُعُود سَفيههُم أم قَدْ حماهُ النَّبح ذاكَ المكعمُ[3]

لقد حاول حساد الشاعر الوقيعة بينه وبين الأمير، ولكن الأمير فطن إلى تلك الوقيعة ولم ينخدع بها، والشاعر يتساءل هل يعود هؤلاء إلى تلك الوقيعة؟ أم أنهم أخذوا درسا قاسيا على يد الأمير؟ وقد حذف الجار والمجرور في قوله: هل يعود سفيههم، والتقدير: هل يعود سفيههم إلى الوقيعة أو الدسيسة؟ وهو يستنكر عليهم فعلتهم هذه حتى إنه يعف لسانه عن ذكرها.

- **التهويل**: وذلك في قوله (من المتقارب) [4]:

أبَـــا عـــامرٍ عشـــرةً فاسْـــتقلْ لُتـــبْرَمَ مـــن وُدِّنـــا مـــا انْـــتقَضْ

ولا تَعْتَـــصِمْ ضَـــلَّةً بالحِجـــاجِ وسَـــلِّمْ فـــرُبَّ احتجـــاجٍ دُحِـــضْ

يخاطب الشاعر أبا عامر بن عبدوس الذي خلفه في حب ولادة قائلا له: لقد أخطأتَ في حقي فاطلب مني أن أغفر لك زلتك، ولا تجادلني واعترف بخطئك؛

---

(١) الديوان: ٤٢٦.

(٢) الديوان: ٣٢٠.

(٣) كعم البعير: شيء يجعل في فم البعير لئلا يعض أو يأكل، وكعمه الخوف: أمسك فاه، لسان العرب: ١٢ / ١١١ (ك ع م).

(٤) الديوان: ٥٨٨.

لأن ما تأتي به من حجج سأدحضها لك، وقد حذف الشاعر الجار والمجرور في قوله: وسلم، والتقدير: وسلم بالخطأ، أو: وسلم بما ارتكبتَه في حقِّي، وقد أوحى هذا الحذف بمدى بشاعة الأمر الذي أتاه ابن عبدوس، وهوْل ما اقترفه في حق ابن زيدون.

- **إفادة السرعة**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

أَعادَ الصَّباح الطَّلَقَ لَيلاً علَيهمُ فحارَ وثنَّى ناظِرَ الشَّمسِ أَرْمَدَا[2]

يصف الشاعر المعركة التي دارت بين الأمير وأعدائه، وكيف استطاع الانتصار عليهم؛ فقد حوَّل الصباح المشرق ليلا على أعدائه فعاد إليهم ظلامه، وثنَّى فأصاب ناظر الشمس بالرمد، وقد حذف الشاعر الجار والمجرور في قوله: فحار، والتقدير: فحار عليهم الظلام، وقد أعطى هذا الحذف للكلام إيقاعًا سريعًا يتناسب مع سرعة المعركة، وانقضاض الأمير على أعدائه، أما لو ذكر الجار والمجرور فإنه سيعطي الكلام بطئا لا يتناسب مع شدة المعركة وسرعتها.

---

(١) الديوان: ٤٧٥.

(٢) حار: رجع. لسان العرب: ٣ / ٣٨٣ (ح ور).

المبحث الرابع
الحذف في أسلوب الشرط والقسم

هناك تشابه قائم بين أسلوبي الشرط والقسم، في أن كلا الأسلوبين يتكون من جملتين، كما أنه قد يحذف منهما أحد العناصر المكونة له، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الحذف في أسلوب الشرط:

يتكون أسلوب الشرط من ثلاثة عناصر رئيسية هي: أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وقد يتعرض أسلوب الشرط للحذف في أي عنصر من عناصره، وقد تعددت صور الحذف في أسلوب الشرط في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

حذف أداة الشرط مع جملة الشرط:

ذهب النحاة إلى أن أداة الشرط وجملتها يحذفان من أسلوب الشرط، وتبقى جملة جواب الشرط دليلًا على المحذوف، وذلك في موضعين:

أولاً: وجود ما يدل على المحذوف: كأن تدل القرائن اللفظية أو الحالية على المحذوف، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ﴾[1]، والتقدير: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم[2]، فحذف جملة الشرط لدلالة جملة الجواب عليها، وكقوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ ﴾[3]، فحذف

---

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) انظر: الكشاف: ٢ / ١٤٩، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٨١، شرح الأشموني: ٤ / ٢٧.

(٣) سورة الشورى: ٩.

جملة الشرط لدلالة جملة الجواب عليها، والتقدير: إن أرادوا أولياء فالله هو الولي ولا ولي سواه [1]، ومنه قول الشاعر[2]:

قالوا خُراسانُ أَقْصَى ما يُرادُ بنَا ثم القُفُولُ فقد جِئنَا خُراسَانَا

فحذف جملة الشرط مع الأداة والتقدير: " إن صح ما قلتم إن خراسان أقصى ما يراد بنا، فقد جئنا خراسان "[3].

ثانيًا: وقوع جملة جواب الشرط بعد الطلب: حيث تحذف أداة الشرط مع جملة الشرط، وتبنى جملة جواب الشرط على صيغ أخرى تُجْزَمُ بها، هي [4]:

- **الأمر**، نحو: ائْتني آتِكَ.
- **النهي**، نحو: لا تفعلْ يكنْ خيرًا لك.
- **الاستفهام**، نحو: ألا تَأتيني أُحدِّثْك، أين تكون أزرْك.
- **التمني**، نحو: ألا ماءَ أشربْه، وليته عندنا يحدِّثْنا.
- **العرض**، نحو: ألا تنزلُ تصبْ خيرًا.

لقد جعل النحاة أسلوب الشرط الخالي من الأداة متماثلًا مع أسلوب الشرط بالأداة؛ لأنهم " يرون أن هذا التركيب بناء ظاهري لأسلوب الشرط "[5]، فذهب الخليل إلى" أن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن؛ فلذلك انجزم الجواب؛ لأنه إذا قال: ائتني آتك، فإن معنى كلامه: إن يكن منك إتيانٌ آتك، وإذا قال: أين بيتك أزرْك، فكأنه قال: إن أعلمْ مكان بيتك أزرْك؛ لأن قوله أين بيتك، يريد به: أعْلمني، وإذا قال: ليته عندنا يحدِّثْنا، فإن معنى هذا الكلام: إن يكنْ عندنا يحدِّثْنا.... وإذا

---

(١) انظر: الكشاف: ٣/ ٤٦١، البرهان: ٣/ ١٨١، شرح الأشموني: ٤/ ٢٧.

(٢) البيت من البسيط، والشاهد فيه حذف جملة الشرط لدلالة جملة الجواب عليها، والبيت بغير نسبة في المثل السائر: ٢/ ٢٤٩.

(٣) المثل السائر: ٢/ ٢٤٩.

(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٩٣، المقتضب: ٢/ ٨٢، اللمع: ٢١٦، شرح المفصل: ٧/ ٤٨.

(٥) بناء الجملة العربية: ١٧٨.

قال: لو نزلتَ فكأنه قال انزلْ "[1]، وقد ذهب سيبويه مذهب الخليل فيرى أنه " إنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إنْ تأتني، بإن تأتني؛ لأنهم جعلوه معلقًا بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنَّ إن تأتني غير مستغنية عن آتك"[2]، والذي سوَّغ لحذف الشرط وأداته هنا، هو تقدم ما يدل عليه من الأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض، حيث إن المضمر لا بد أن يكون من جنس الظاهر، فمثلًا إذا كان الظاهر أمرًا كان المضمر فعلًا واجبًا نحو قولنا: أكرمْني أُكرمْك، فيكون التقدير: إن تُكرمْني أُكرمْك [3].

وقد استخدم ابن زيدون أسلوب الشرط الخالي من الأداة وجملة الشرط باستخدام الأمر، وذلك لغرضين:

- **طلب السرعة والتعجل**: كما في قوله (من السريع) [4]:

لم يَثْنني عن أملٍ ما جَرى ... قد يُرقَعُ الخَرْقُ وتُؤسَى الجِراحْ[5]

فاشْحذْ بحُسْن الرَّأي عَزمِي يَرُعْ ... منِّي العِدا أَلْيَسُ شاكي السِّلاحْ

فقد جاءت جملة الطلب(فاشحذ) بصيغة الأمر، وجاءت جملة الجواب فعلية فعلها مضارع مجزوم (يرع)، والتقدير: فاشحذْ بحسن الرأي عزمي، إن تشحذْ بحسن الرأي عزمي يرع منى العدا....، والشاعر هنا يخاطب أبا الحزم بن جهور ويتضرع إليه راجيًا منه العفو، ويطلب منه أن يُقوِّي عزمه، فإن فعل ذلك وجد منه أسدًا شجاعًا يفزع الأعداء، مستعدًّا لهم بأكمل عدة وأمضى سلاح[6]،

---

(١) كتاب سيبويه: ٣ / ٩٤، وانظر: المقتضب: ٢ / ٨٢، ٨٣، شرح المفصل: ٧ / ٤٨، ٤٩.
(٢) كتاب سيبويه: ٣ / ٩٣، ٩٤.
(٣) انظر: شرح المفصل: ٧ / ٥٠.
(٤) الديوان: ٢٤٩.
(٥) شحذ: قوَّى وأحدَّ، والرَّوع: الفزع، والأَلْيسُ: الشجاع. لسان العرب: ٧ / ٤٤ (ش ح ذ)، ٥ / ٣٧١ (روع)، ١٢ / ٣٧٤ (ل ي س).
(٦) انظر: الديوان: ٢٤٩ هامش (٤).

والتركيب بخلوه من الأداة وجملة الشرط، والقصد إلى جواب الشرط مباشرة أعطى إحساسا بأن الشاعر يستحث الأمير ويستنفر همته لما يمكن أن يقوم به من إرهاب أعدائه وتخويفهم، على نحو يدفع الأمير إلى الإسراع بالعفو عنه.

وقوله (من البسيط) [1]:

لك الشَّفاعةُ لا تُثْنَى أعنَّتَها ... دونَ القَبول بمقْبولٍ من العُذرِ [2]

فاشفعْ أكنْ مثلَ مَمْطورٍ ببلْدتِه ... جَذْلانَ بالوطنِ المألوفِ والوَطرِ

حيث جاءت جملة الطلب بصيغة الأمر (فاشفْع)، وجاءت جملة الجواب (أكنْ) فعلية فعلها مضارع، والتقدير: فاشفعْ إن تشْفعْ أكنْ، فحذف أداة الشرط مع جملتها. والبيتان من قصيدة أنشدها الشاعر في سجنه حيث لقي هناك معاملة قاسية، وتعرض لآلام جسمية إلى جانب آلامه النفسية، فقد فشل في حبه لولادة، وخسر مكانته لدى الأمير، وانتهى به المطاف إلى حيث ينتهي بالمجرمين، هذا إلى جانب شماتة حساده وتنكر أصدقائه له [3]، حتى ضاق ذرعا ونفد عزمه، فأخذ يستعطف الأمير، ويطلب منه الشفاعة، فشفاعته هي التي ستجلب له الأمان، فيكون مثل من يأتيه الخصب والنماء في وطنه دون اغتراب، فيسعد فيه بالإقامة والثروة [4]، فالشاعر وهذا حاله يتعجل الأمير بالعفو عنه وإخراجه من سجنه حيث مرارة الاعتقال ليحيا حياة آمنة، ولعل الأسلوب بعد حذف أداة الشرط وجملتها في قوله (فاشفع أكن) قد تحقق فيه عنصر السرعة وطلب التعجيل بإخراجه من السجن.

---

(١) الديوان: ٢٦١.

(٢) الوطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همة. لسان العرب: ١٥ / ٣٣٦ (وط ر).

(٣) انظر: ابن زيدون. لعلي عبد العظيم: ١٤٢، ١٤٣.

(٤) انظر: الديوان: ٢٦١ هامش (١).

- **توسيع المعنى وإطلاقه:** كما في قوله من الطويل [1]:

مُوطَّأُ أكنافِ السَّماح دنتْ به ... خلائقُ زُهرٍ إذ أنافَ نِصابُ[2]

فزُرْه تَزُرْ أكنافَ غنَّاءَ طَلَّةٍ ... أَرَبَّتْ بها للمكرُمات رَبابُ

حيث جاءت جملة الطلب (فزُرْه) بصيغة الأمر، وجاءت جملة الجواب (تزر) فعلية فعلها مضارع مجزوم، والتقدير: فزرْه إن تزُرْه تزرْ، فحذف الشاعر أداة الشرط مع جملتها، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الوليد بن جهور ويصفه بالجود والسخاء كالسحاب الهاطل والبحر الزاخر بالأمواج، وأنه يجود بلا سؤال، ويعطي بلا حساب، وأنه سَمْح الجناب، تواضعت به أخلاقه وكثر إحسانه للمحتاجين"إذا زُرْته وجدت فيه روضة غنَّاء ظلت سحائب المكرمات هاطلة بها "[3]، وقد أعطى حذف أداة الشرط مع جملة الشرط في قوله(فزره تزر) إحساسا بأن الأمير سهل المزار بابه مفتوح دائما لمن يريد زيارته والنَّيل من عطاياه وهباته، لا يحتجب عن رعيته- كما يفعل الملوك والأمراء- ويتغير هذا المعنى إذا استعمل الشاعر أداة الشرط مع جملة الشرط، فإذا قال إن تزره تزر، فإن المفهوم من ذلك أن زيارته لا تتاح لأي شخص، بل تقتصر على البعض دون الآخر. كما أن استخدام الأسلوب بدون(إن) أضفى على الأسلوب سمة التأكيد وتحقق الوقوع، يتحول إلى احتمالية التحقق إذا استخدمت أداة الشرط.

*** حذف جملة الشرط:**

ذهب النحاة إلى أن جملة الشرط قد تُحذف من أسلوب الشرط إذا كانت الأداة

---

(١) الديوان: ٣٧٥.

(٢) وطأ الشيء: هيأه، والكَنف: الناحية والجانب، وأناف الشيء: ارتفع وأشرف، والغنَّاء: الكثيرة العشب، والأرض الطَّلَّة: الندِيَّة، وأربَّ بالمكان: لزمه وأقام به، والرِّباب: الجماعات. لسان العرب: ١٥ / ٢٣٢ (وط أ)، ١٢ / ١٦٩ (ك ن ف)، ١٤ / ٣٣١ (ن وف)، ١٠ / ١٣٤ (غ ن ا)، ٨ / ١٩ (ط ل ل)، ٥ / ٩٧ (ر ت ب).

(٣) الديوان: ٣٧٥ هامش (١).

(إنْ) مقرونة بـ(لا) النافية، ووجود ما يدل على المحذوف [1]، كقول الأحوص بن محمد الأنصاري [2]:

فَطلِّقْها فلستَ لها بأهلٍ وإلاَّ شَقَّ مفرقَكَ الحُسَامُ

فحذف جملة الشرط، والتقدير: إن لا تُطلِّقْها، و(شقَّ) جوابه [3]،ومنه أيضا قول الشاعر [4]:

أَقيموا بني النُّعمانَ عنَّا صُدورَكمْ وإلاَّ تُقيموا صاغرينَ الرُّؤُوسَا

فحذف جملة الشرط، وتقديره " وإن لا تقيموا صدروكم تقيموا الرؤوس " [5].

وقد ورد هذا النمط من الحذف في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [6]:

ألاَ إنَّ ظنِّي بين فِعْليك واقفٌ

وقوفَ الهَوى بين القَطيعةِ والوَصْلِ [7]

---

(١) انظر: شرح عمدة الحافظ: ٣٦٨، ٣٦٩، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٢.

(٢) البيت من الوافر، والشاهد فيه حذف جملة الشرط، والتقدير. فطلقها وإن لا تطلقها، والبيت في ديوان الأحوص بن محمد الأنصاري، جمع وتحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي. مطبعة النعمان الأشرف، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م: ١٨٤، وللبيت رواية أخرى هي:

فطلقها فلست لها بكفء وإلا يعل مفرقك الحسام

انظر: كتاب الشعر: ٦١، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٩٦، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٢، شرح الأشموني: ٤ / ٢٥.

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري: ٢ / ٩٦، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٢، شرح الأشموني: ٤ / ٢٦، شرح شواهد العيني: ٤ / ٢٦.

(٤) البيت من الطويل، ليزيد بن الخذَّاف الشَّنِّي، والشاهد فيه حذف جملة الشرط، والتقدير أقيموا وإن لا تقيموا، والبيت في كتاب الشعر: ٦٠، أمالي ابن الشجري: ١ / ٤٣٢، ٢ / ٩٦، شرح المفصل: ٦ / ١١٥.

(٥) أمالي ابن الشجري: ٢ / ٩٦.

(٦) الديوان: ٢٧٢.

(٧) القَصْد: العدل، الرَّسْل: السهل اللين. لسان العرب: ١١ / ١٧٩ (ق ص د)، ٥ / ٢١٣ (ر س ل).

فـــإن تُمْـــنَ لي منـــكَ الأمـــاني فَـــشيمةٌ

لـــذاك الفَعـــالِ القَـــصْدِ والخُلـــقِ الرَّسْـــلِ

وإلاَّ جَنيْـتُ الأنْـسَ مـن وحـشةِ النَّـوى

وهَـــوْلِ الـــسُّرَى بـــين المطيَّـــةِ والرَّحْـــلِ

حذف الشاعر جملة الشرط في قوله: وإلا جنيت، والتقدير: وإلا تصفحْ عني جنيتُ..، والبيت من قصيدة للشاعر كتبها في سجنه يتوسل فيها إلى أبي الحزم بن جهور، ويناشده أن يعفو عنه، وأن يرعى حرمته منه، وألا يستمع إلى ما قاله الوشاة[1]، آملاً أن تجدي توسلاته عند الأمير فيصفح عنه ويخرجه من السجن، فإن لم يصفح عنه فسوف يرحل في وحشة الظلام مكابدا مشقة الأسفار ومرارة الفراق؛ لينعم بالأمان والاستقرار بعيدا عن الذل والهوان [2]، ويلحظ في هذا السياق أن جملة الشرط المحذوفة معلومة لدى كل من المتكلم والمخاطب، فحذفها الشاعر ووصل مباشرة إلى النتائج المترتبة عليها عن طريق إبراز جملة الجواب التي يخبر فيها الأمير بأنه إذا لم يصفح عنه فإنه سيترك هذا البلد، ويرحل بحثا عن الأمان والاستقرار، معانيا الفراق والغربة ومشقة الأسفار، لعل الأمير يستجيب لتوسلاته ويخرجه من سجنه.

وقوله (من المتقارب) [3]:

أبَـــا عـــامرٍ عشـــرةً فاسْـــتقِلْ ... لُتـــبْرِمَ مـــن ودِّنـــا مـــا انْـــتقَضْ[4]

ولا تَعْتَـــصِم ضَـــلَّةً بالحجـــاجِ ... وسَـــلِّم فـــرُبَّ احتجـــاجٍ دُحِـــضْ

---

(١) انظر: ابن زيدون. للدكتور شوقي ضيف: ٣٢٠.

(٢) انظر: الديوان: ٢٧٢. هامش (٤).

(٣) الديوان: ٥٨٨.

(٤) انتحاه: قصده، القض: الحصى الكبار، القضيض: الحصى الصغار. لسان العرب: ١٤ / ٧٦ (ن ح ا)، ١١ / ٢٠٥ (ق ض ض).

وإلاَّ انْتَحتْكَ جيوشُ العتابِ مُنَاجِزةً في قضِيضٍ وقَضْ

ينذر الشاعر أبا عامر بن عبدوس ويهدده ويقول له: لقد أخطأت في حقي فاطلب مني أن أغفر لك هذا الخطأ، ولا تتمسك بالجدال والمناقشة لأن جدالك باطل لا يغني عن الاعتذار، فإن لم تفعل سلطت عليك جيوش اللوم والعتاب مجتمعة عليك في عددٍ وفير[1]، وقد حذف الشاعر جملة الشرط في قوله: وإلاَّ انْتَحتْك، والتقدير: وإن لم تعترف بالخطأ وتعتذر انتحتك جيوش العتاب، ولما كان المقام مقام إنذار وتهديد، فقد عمد إلى حذف جملة الشرط المعلومة من السياق، وإبراز جملة الجواب – التي تحمل تهديده ووعيده – لعل ابن عبدوس يرتدع عن فعله ويعترف بخطئه.

*** حذف جملة جواب الشرط:**

أشار النحاة إلى القول بجواز حذف جملة جواب الشرط، إذا كان في الكلام ما يدل على المحذوف، وأن يكون فعل الشرط ماضيا لفظا أو معنى[2]، كقوله تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[3]، أي: إن شكرتم وآمنتم فلم يعذبكم[4]، وقال تعالى أيضا (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ...)[5]، أي: إن استطعت ذلك فافعل[6]، ومنه أيضا قول امرئ القيس[7]:

---

(١) انظر: الديوان: ٥٨٨ هامش (٢، ٣، ٤).

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ١٠٣، كتاب الشعر: ٦٥، الصناعتين للعسكري: ٢٠١، أمالي ابن الشجري: ٢ / ١١٧، شرح شذور الذهب: ٣٤٣، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٢، همع الهوامع: ٢ / ٦٢، حاشية الخضري: ٢/ ١٢٥.

(٣) سورة النساء: ١٤٧.

(٤) انظر: أمالي ابن الشجري: ٢ / ١١٧.

(٥) الأنعام: ٣٥.

(٦) انظر: الكشاف: ٢ / ١٦.

(٧) البيت من الطويل، والشاهد فيه حذف جملة الجواب، والتقدير: لفنيت، والبيت في ديوان امرئ القيس: ١٠٧، شرح المفصل: ٩ / ٨.

فلَـوْ أنَّهـا نَفْـسٌ تمـوتُ سَـويَّةً ولكنهـا نَفْـسٌ تـساقطُ أنفُـسَا

فجواب الشرط محذوف تقديره: لفنيت واستراحت.

وقد ذهب النحاة إلى أن حذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل " أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك (والله لئن قمتُ إليك) وسكتَّ عن الجواب، ذهب فكره إلى أنواع من العقوبة والمكروه من القتل والقطع والضرب والكسر، فإذا تمثَّلتْ في فكره أنواع العقوبات وتكاثرت، عظمت الحال في نفسه ولم يعلم أيها يتَّقي، فكان أبلغ في ردعه وزجره عما يكره منه، ولو قلت (والله لئن قمتُ إليك لأضربنَّك)، وأظهرت الجواب، لم يذهب فكره إلى نوع من المكروه سوى الضرب، فكان ذلك دون حذف الجواب في نفسه، لأنه قد وطَّن له نفسه فيسهل ذلك عليه "[1]، فحذْف الجواب يترك للمخاطب تخيل ما هو محذوف. وهذا ما ذهب إليه البلاغيون أيضًا، حيث أشاروا إلى أنه يحسن حذف الجواب إذا دل الكلام عليه" لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ورد ظاهرا في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة "[2].

وقد ورد حذف جملة جواب الشرط في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله(من الكامل)[3]:

إيهًـا بنـي ذكْـوانَ إن غلـبَ الأَسَـى

فلكُـم إلى الـصبرِ الجميـلِ مَـآلُ[4]

إنْ كـان غـابَ البـدرُ عـن سَـاهُـورِه

مـنكم وفـارقَ غابَـهُ الرِّئبـالُ

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٦١، ٤٦٢، وانظر: شرح المفصل: ٩ / ٩.

(٢) سر الفصاحة. لابن سنان الخفاجي. تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان. دار قباء. القاهرة. ٢٠٠٣م: ٣١٣، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ١ / ٢٩٣.

(٣) الديوان: ٥٣٨.

(٤) الساهور: دارة القمر. لسان العرب (س هـ ر) ٦ / ٤١٠.

البيتان من قصيدة يرثي بها الشاعر صديقه أبا بكر بن ذكوان، ويطالب بني ذكوان أن يكفُّوا عن الحزن والأسى، فإن كان بدرهم قد غاب عن دارته، وفارق أسدهم غابته، فليتحلَّوا بالصبر الجميل [1]، وقد حذف جواب (إن) في البيت الثاني، والتقدير: إن كان غاب البدر عن ساهوره منكم وفارق غابه الرئبال فاصبروا، والسياق اللغوي يشير إلى الجواب المحذوف في البيت السابق، وذلك في قوله: فلكم إلى الصبر الجميل مآل. أما حذفه في البيت الثاني فأوحى بصعوبة تحققه، وكأن بني ذكوان من هول المصيبة، وعظم وقعها على نفوسهم يصعب عليهم الصبر عليها.

*** حذف الفاء من جملة جواب الشرط:**

الأصل في جملة جواب الشرط أن تكون فعلًا صالحًا لجعله شرطًا، فإن جاءت على الأصل لم يُحتج إلى الفاء التي تربط الجواب بجملة الشرط، وذلك إن كانت جملة الجواب فعلًا ماضيًا متصرفًا عاريًا من (قد) وغيرها، أو مضارعًا مجردًا، أو منفيا بـ (لا) أو (لم). ومع أن جملة جواب الشرط في هذه الحالة لا تحتاج إلى الفاء، فإنه لا يمتنع اقترانها بها [2].

أما إذا كان الجواب لا يصلح أن يكون شرطًا وجب اقترانه بالفاء ليتحقق الربط بين الجواب والأداة؛ وذلك إذا كان: جملة اسمية، أو طلبية، أو فعلًا غير متصرف، أو مقرونًا بحرف تنفيس (السين أوسوف)، أو مقرونًا بـ(رب) أو (ابتداء) [3]، وذلك لأن " خلو الجواب من الفاء في هذه المواضع يشعر بقلق الجملة وانفصال كل

---

(١) انظر: الديوان: ٥٣٨، ٥٣٩ هامش (٤، ٥).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: الجنى الداني في حروف المعاني. للمرادي. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ٦٦، ٦٧.

(٣) انظر ذلك بالتفصيل في: الجنى الداني: ٦٧، ٦٨، ٦٩، شرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٢٥٠، همع الهوامع: ٢ / ٦٠، حاشية الخضري: ٢ / ١٢٣.

منهما عن الأخرى؛ لذلك تقوم هذه الفاء بالربط بينهما وإيجاد العلاقة التي تجعل كلا منهما بسبب من الأخرى " [1].

وقد اتفق النحاة على أن هذه الفاء لا تحذف مطلقا إلا في ضرورة الشعر، فقد علق الخليل على سؤال سيبويه له عن قوله " إن تأتني أنا كريم. فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر من قبل أن أنا كريم يكون كلاما مبتدأ، و(الفاء وإذا) لا يكونان إلا معلقتين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جوابا حيث لم يشبه الفاء، وقد قاله الشاعر مضطرا " [2]، لقد رأى الخليل أن حذف الفاء هنا يصرف جملة الجواب من التعلق بجملة الشرط إلى الاستئناف وتكون بذلك كلاما مبتدأ، وأن وجودها يعلق جملة الجواب بجملة الشرط.

صحيح أن الفاء تساعد على تعيين الجمل داخل السياق، والوقوف على مكونات أسلوب الشرط، ودلالة التعليق فيه، غير أن هناك من العناصر الأخرى ما يمكن أن يقوم بهذه الوظائف غير الفاء، كأداة الشرط، وقرينة الجزم، والضمائر العائدة، بالإضافة إلى القرائن الحالية [3]، ولذلك أميل إلى جواز حذف الفاء من جملة جواب الشرط إذا وجد من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على هذا الحذف.

وقد ورد حذف الفاء من جواب الشرط في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [4]:

أهيمُ بجبَّارٍ يعزُّ وأَخضعُ [5]

---

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم. للدكتور محمد صلاح الدين مصطفى بكر. مؤسسة على جراح الصباح. الكويت ١٩٧٩م:٢/ ١٩٠.

(٢) كتاب سيبويه: ٣/ ٦٤.

(٣) انظر: السياب ونازك والبياتي. دراسة لغوية. للدكتور مالك يوسف المطلبي. طبعة دار الشئون الثقافية العامة. العراق. الطبعة الثانية ١٩٨٦م:٢٥٠.

(٤) ديوانه: ١٢٨.

(٥) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن. لسان العرب: ٢ / ٤٣٠ (ج وا).

شَـــذَا المـــسك مـــن أَرْدَانـــه يَتـــضوَّعُ

إذا جئـــتُ أشْـــكوه الجـــوى لـــيس يـــسمعُ

فالشاعر يهيم بحبيبته التي يصفها بالجبروت، فهي تعذبه وتعرض عنه وتبالغ في الإعراض عنه، وكأنه يستعذب هذا العذاب وذلك الإعراض، وإذا جاءها ليشكو إليها شدة وجده بها، أعرضت عنه وصمَّت أذنيها عن سماعه، بل إنها لا تنتظر حتى تسمع شكواه، ولكنها تعرض عنه بمجرد مجيئه، بل معرضة تماما عن سماع أي أحد غيره، بدليل حذف مفعول الفعل (يسمع)، فلم يقل (يسمعني) لئلا ينصرف الذهن إلى أنها معرضة عن سماعه فقط، بل هي معرضة عنه وعن الآخرين، وقد أوحى حذف الفاء من جملة الجواب (ليس يسمع) بتحقق جملة الجواب دون ترتب على الشرط، فالمحبوبة معرضة عن سماع الشاعر أو أي أحد غيره سواء أجاءها يشكوها الجوى أم لم يجئ.

*** حذف اللام من جواب لو ولولا:**

أشار النحاة إلى أن جواب (لو ولولا) يكثر اقترانه باللام إذا كان ماضيا مثبتا، ويقل اقترانه بها إذا كان ماضيا منفيا بـ (ما) أو مضارعا مجزوما بـ (لم) [1]، وذلك نحو قوله تعالى ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [2]، وقوله تعالى ﴿ لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [3]، وتؤدي هذه اللام التي تقع في جواب (لو ولولا) وظيفة الربط بين الجملتين الثانية والأولى، بحيث تصبحان جملة واحدة [4].

وقد وقع الخلاف بين النحاة في جواز حذفها أو إثباتها، فذهب بعضهم إلى جواز

---

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٨٣، ٥٩٨، مغني اللبيب: ١ / ٤٤٧، شرح التصريح: ٢ / ٢٦٠.

(٢) سورة الواقعة: ٦٥.

(٣) سورة سبأ: ٣١.

(٤) انظر: شرح المفصل: ٩ / ٢٢.

حذفها من جملة الجواب [1]، مستدلين على ذلك بما ورد من جواب (لو ولولا) غير مقرون باللام، نحو قوله تعالى﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا)[2] وقول الشاعر [3]:

وكم موطنٍ لولاي طِحْتَ كما هَوَى بأجْرامِهِ من قلَّةِ النِّيقِ مُنْهوِى

وقول الشاعر [4]:

فلو أنَّا على حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرى الدَّميانِ بالخبرِ اليقينِ

على حين قصر ابن عصفور (٦٦٩ هـ) حذف اللام من جواب (لولا) على الضرورة، وذهب أيضا إلى أنه يجوز في قليل من الكلام [5].

غير أن هناك من النحاة من سوَّى بين حذف اللام وإثباتها في جواب (لو ولولا)، فذهب أبو علي (٣٧٧هـ) إلى أن سقوط اللام مع لو كسقوطها مع لولا [6]. وقال ابن الشجري في حديثه عن (لولا) " ويحتاج إلى اللام في الجواب، كاحتياج (لو) إليها في نحو: لو جئتَني لأكرمتُك، تقول لولا زيدٌ لجئتُك " [7].

وأيًّا كان الخلاف بين النحاة في حذف اللام أو إثباتها، فإنه قد ورد حذفها في القرآن الكريم وشعر العرب؛ ولذلك أميل إلى الرأي القائل بجواز حذفها من جواب (لو ولولا) اعتمادا على الوارد المسموع، بالإضافة إلى أن اللام تؤدي وظيفة الارتباط بين جملتين ليصبحا جملة واحدة، وهذا الارتباط قد يتحقق بعناصر أخرى غير اللام، كالعناصر الأساسية المكونة للشرط، الأداة وجملة الشرط التي يترتب

---

(١) انظر: شرح المفصل: ٩ / ٢٢، شرح الأشموني: ٤ / ٤٣، حاشية الصبان: ٤ / ٤٣.

(٢) سورة الواقعة: ٧٠.

(٣) البيت من الطويل. ليزيد بن الحكم بن أبي العاص، والشاهد فيه حذف اللام من جواب (لولا)، والتقدير: لطحت، والبيت في شرح المفصل: ٧ / ١٥٩، ٩ / ٢٣.

(٤) البيت من الوافر، والشاهد فيه: حذف اللام من جواب (لو) والتقدير: لجرى الدميان، والبيت بغير نسبة في شرح المفصل: ٩ / ٢٤.

(٥) انظر: الجنى الداني: ٥٩٨، ٥٩٩، همع الهوامع: ٢ / ٦٧.

(٦) انظر: شرح المفصل: ٩ / ٢٤.

(٧) أمالي ابن الشجري: ٢ / ٥١٠.

عليها جملة الجواب، بالإضافة إلى عود الضمائر، كما يمكن أن يكون الرابط بين الجملتين معنويا وذلك من خلال السياق والقرائن الحالية المصاحبة له.

وقد ورد حذف اللام من جواب (لو ولولا) في شعر ابن زيدون، وقد جاءت كلها في سياق السرعة وطلب التعجيل، كقوله من الطويل [1]:

وهل لكَ في أن تَشْفعَ الطَّوْل شافعًا فتُنجحَ ميمونَ النَّقيبةِ أو تُلِي[2]

أجرْ أعْد آمنْ أحْسنِ عُدِ اكفِ حُطْ تحفَّ ابسُطِ اسْتأْلِفْ صُنِ احْمِ اصْطنعِ أَعْلِ

مُنًى لو تَسنَّى عقدُها بيدِ الرِّضا تيسَّر منها كُلُّ مُسْتصعَبِ الحلِّ

الشاعر في سجنه يستعطف الأمير أن يشفع له، ويخرجه من السجن، فلو تحقق هذا الأمل لسهَّل كل عسير [3]، ولتحولت حياة الشاعر سريعا من شقاء إلى نعيم، وقد أوحى حذف اللام من جملة الجواب (تيسر) بسرعة تحقق الجواب (تيسَّر) عقب الشرط (تَسنَّى) مباشرة، فكأن حذف اللام لإسقاط الفاصل الزمني بين جملتي الشرط والجواب، فبمجرد العفو عنه وخروجه من السجن، ستتبدل حياته سريعا من الشقاء إلى النعيم.

وقوله (من الوافر) [4]:

فلو أسطيعُ طِرْتُ إليك شوقا وكيف يطيرُ مقصوصُ الجناحِ

يخاطب الشاعر محبوبته من سجنه ويقول: أنه لو استطاع أن يطير إليها محملا بالأشواق لطار، ولكنه لا يستطيع لأنه مسجون، فهو كالطائر المقصوص الجناح، وقد حذف اللام من جملة الجواب، كما حذف المفعول به أيضا في قوله: فلو أسطيع طرت....، والتقدير: فلو أستطيع الطير لطرت.....، وقد بدا من هذا الحذف وكأن

---

(١) الديوان: ٢٧٢.

(٢) النقيبة: مبارك النفس. لسان العرب: ١٤ / ٢٥٠ (ن ق ب).

(٣) انظر: الديوان: ٢٧٢ هامش (١).

(٤) الديوان: ١٤٩.

الشاعر يتعجل خروجه من السجن، فلم يعد يتحمل مشقة السجن وما فيه من آلام نفسية وجسمية.

ثانيا: الحذف في أسلوب القسم:

ورد الحذف في أسلوب القسم في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

*** حذف جملة القسم:**

يتألف أسلوب القسم من جملة القسم وجملة جواب القسم إذ لا يمكن أن تستقل جملة القسم وحدها دون جملة جواب القسم. أشار إلى ذلك أبو علي بقوله " القسم لا يكون كلاما مستقلا دون أن تضم إليه المقسم عليه والقسم؛ لأنه ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبرا آخر جاء على جهة ما تكون عليه الأخبار، فكما أن الجمل التي هي أخبار تكون من الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، كذلك كانت الجملة التي هي قسم على هذين الوجهين" [1].

يفهم من ذلك أن هناك ترابطا وتلازما بين جملتي القسم وجواب القسم، كما هو الحال بين جملتي الشرط والجواب.

والعرب يكثرون التصرف بالحذف في أسلوب القسم كثيرا، وذلك لكثرة القسم في كلامهم، وأن " اللفظ إذا كثر في ألسنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه، وعلى حسب تفاوت الكثرة، يتفاوت التخفيف. ولما كان القسم مما يكثر استعماله ويتكرر دوره، بالغوا في تخفيفه من غير جهة واحدة "[2].

ومن وسائل التخفيف في أسلوب القسم: حذف جملة القسم، وهو كثير في كلام العرب، فإذا " قيل لأفعلنَّ، أو لقد فعلَ، أو لئن فعلَ، ولم يتقدم جملة قسم، فثم جملة قسم مقدرة "[3]. وقد آثروا حذف جملة القسم لأنها " جملة توكيدية ليس غير، ومن

---

(١) المسائل العسكرية. لأبي علي الفارسي. تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد. مطبعة المدني بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م: ١٢٣.

(٢) شرح المفصل: ٩ / ٩٤.

(٣) مغنى اللبيب: ٢ / ٣٨٧.

ثم فهي جملة ثانوية أو فرعية، بيد أن جملة الجواب هي الجملة الأصلية التي تحمل المعنى الأصلي المراد إبلاغه "[1].

وقد ورد حذف جملة القسم في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله(من الطويل)[2]:

أليسَ أبو الحزمِ الذي غِبَّ سَعْيِهِ ... تبصَّرَ غاوينَا فَبانَ له الرُّشْدُ[3]

أغَرُّ تمهَّدْنا به الخَفْضَ بعدما ... أَقضَّ علينا مَضْجعٌ ونَبَا مهْدُ

لَشمَّر حتى انْجابَ عارضُ فِتنةٍ ... تألَّق منها البَرْقُ واصْطخبَ الرَّعْدُ

حذف الشاعر جملة القسم في البيت الثالث، واكتفى بجملة جواب القسم، وهي قوله: لشمر. وثمة قرينة لفظية تدل على جملة القسم المحذوفة، وهي دخول اللام على الفعل الماضي المتصرف " فإن وجد نحو: لقام زيدٌ. فهو جواب قسم، واللام فيه لام الجواب "[4]، والأبيات من قصيدة يمدح فيها الشاعر أبا الحزم بن جهور ويقول إن الأمير قد شمر عن ساعديه، وقاوم الفتن والثورات حتى صفا الجو لرعيته بعد اضطراب[5]، وهذا السياق يتواءم معه حذف جملة القسم، فإذا كان الغرض من القسم توكيد الكلام وإزالة الشك عند المخاطب، فما من شك لدى المخاطب في أن الأمير قاوم الفتن والثورات حتى عاش الرعية في أمان، فتلك حقيقة واقعة لا تحتاج إلى قسم أو توكيد.

---

(١) ظاهرة الفصل في الجملة العربية. دراسة تحليلية بين التراث والدرس اللغوي الحديث. رسالة دكتوراه. للدكتور مأمون عبد الحليم. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ١٢٩، ١٣٠.

(٢) الديوان: ٣٥٨.

(٣) الغبُّ: العاقبة، وغبُّ كل شيء: عاقبته، والرجل الأغرُّ: كريم الأفعال، ومهَّد: هيأ، والخفْض: الدَّعة ولين العيش، وأقضَّ المضجع: خشن، ونبا: تجافى، وانجاب: زال وانشق، والعارضُ: السحاب المطل يعترض الأفق. لسان العرب: ١٠ / ٥ (غ ب ب)، ١٠ / ٤٣ (غ ر ر)، ١٣ / ٢٠٦ (م هـ د)، ٤ / ١٥٤ (خ ف ض)، ١١ / ٢٠٥ (ق ض ض)، ١٤ / ٣٠ (ن ب ا)، ٢ / ٤٠٧ (ج وب)، ٩ / ١٤٣ (ع ر ض).

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني: ١٢٥.

(٥) انظر: الديوان: ٣٥٨ هامش (٣)

المبحث الخامس

حذف المكملات

تتكون الجملة من عنصرين أساسيين: مسند إليه ومسند، وقد يزاد عليهما ألفاظ من أجل زيادة الفائدة [1]. هذه الألفاظ تسمى (فضلات) أو (مكملات)، وقد شاع حذف الفضلات أو المكملات في شعر ابن زيدون، وقد أسهمت صور هذا الحذف في إثراء المعنى عنده، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:

اعتبر النحاة المضاف والمضاف إليه بمثابة الكلمة الواحدة، يفهم ذلك من خلال تعريفهم للإضافة بأنها " إسناد اسم إلى غيره على سبيل تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه " [2]، إلا أنهم أجازوا حذف المضاف، ونصُّوا على أن حذفه كثير شائع في كلام العرب، فقد أشار ابن جني إلى أن حذف " المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة...، وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مكررا؛ أُنسا بالحال ودلالة على موضوع الكلام، كقوله تعالى﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾[3]، أي من أثر حافر فرس الرسول "[4]،

---

(١) انظر: الخصائص: ٢ / ٣٨١.

(٢) شرح التصريح: ٢ / ٢٤.

(٣) سورة طه: ٩٦.

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لابن جني. تحقيق على النجدي ناصف وآخرين. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م: ١ / ١٨٨، وانظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٤، شرح المفصل: ٣ / ٢٣. الجامع الكبير: ١٣٠، المثل السائر: ٢ / ٢٤٢، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٤٦.

واشترطوا أن يكون هذا الحذف في حال الاختيار وسعة الكلام [1]، وأن تدل القرائن الحالية أو اللفظية على هذا الحذف، وألا يلتبس الكلام على المخاطب بعد الحذف، فقد علق سيبويه على قول أبي دؤاد الإيادي [2]:

أكلَّ امرئٍ تَحْسَبينَ امْرأً ونارٍ توقَّدُ بالليلِ نارَا

بقوله " فاستغنيت عن تثنية كُلٍّ لذكرك إياه في أول الكلام ولقلة التباسه على المخاطب"[3]، كما ذهب ابن الشجري إلى أن " حذف المضاف في كلام العرب وأشعارها وفي الكتاب العزيز أكثر من أن يحصى، وأحسنه ما دل عليه معنى أو قرينة أو نظير أو قياس"[4]، فإذا وجدت القرائن جاز الحذف لأن" الغرض من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا حصل المعنى بقرينة حال أو لفظ آخر استغنى عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصارا"[5]، وعلى هذا يقال: هذا عمرو، والمراد: هذا اسمُ عمرو، وهذا ذكرُ عمرو، وبنو فلان يطؤهم الطريق، أي أهل الطريق[6]، ومنه قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[7]، أي أهل القرية، ومنه قول النابغة الجعدي [8]:

وكيف تواصلُ من أصْبَحتْ خلالتُه كأبِي مَرْحَبِ

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ٢٦٩، شرح المفصل: ٣ / ٢٣.

(٢) البيت من المتقارب، والشاهد فيه حذف المضاف والتقدير: وكل نار. والبيت في كتاب سيبويه: ١ / ٦٦، والأصول: ٢ / ٧٠، كتاب الشعر: ٤٤، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٢١، ضرائر الشعر: ١٦٦.

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٦٦، وانظر: سر الفصاحة: ٣١٤.

(٤) أمالي ابن الشجري: ١ / ٧٨، وانظر: كتاب الشعر: ٣٤٦، الكافية في النحو: ١ / ٢٩١.

(٥) شرح المفصل: ٣ / ٢٣.

(٦) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٢١٣، ٣ / ٢٦٩، مجالس العلماء: ٢٦٠، الخصائص: ٢ / ٤٤٨، الصاحبي: ٣٣٧.

(٧) سورة يوسف: ٨٢.

(٨) البيت من المتقارب، والشاهد فيه حذف المضاف، والتقدير: كخلالة أبي مرحب، والبيت في كتاب سيبويه: ١ / ٢١٥، الإنصاف: ١ / ٦٢.

وقول الخنساء [1]:

ترتعُ ما رتعتْ حتى إذا ادَّكرتْ فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

أما إذا أدى حذف المضاف إلى اللبس في الكلام امتنع حذفه، فإن قيل رأيت هندا، والمراد: غلامُ هند، لم يجز؛ لأن الرؤية يمكن أن تقع على هند، كما يمكن أن تقع على الغلام [2].

وقد ألمح سيبويه إلى السبب الذي من أجله يحذف المضاف، فأشار إلى أنه يحذف طلبا للتخفيف، ففي حديثه عن أسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأب والأم، يقول " أما ما يضاف إلى الآباء والأمهات فنحو قولك: هذه بنو تميم، وهذه بنو سلول، ونحو ذلك. فإذا قلت: هذه تميم، وهذه أسد، وهذه سلول، فإنما تريد ذلك المعنى، غير أنك إذا حذفْت حذفْت المضاف تخفيفا، كما قال عز وجل (واسأل القرية)، ويطؤهم الطريق، وإنما يريدون: أهل القرية، وأهل الطريق، وهذا في كلام العرب كثير "[3].

وقد ورد حذف المضاف في شعر ابن زيدون، وذلك لتحقيق المعاني الآتية:

- **إبراز الحالة النفسية للشاعر**: كما في قوله (من الطويل) [4]:

خليليَّ لا فطرٌ يسرُّ ولا أضْحَى فما حالُ من أمْسى مَشُوقاً كما أضْحَى

لقد اتُّهم الشاعر بالتآمر على بني جهور، وأودع السجن لذلك، ولقي فيه معاملة قاسية؛ مما دفعه إلى الهرب من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، وفي طريقه مر ببطليوس، ومكث بها بضعة أشهر، وقضى ما قضاه في بطليوس مشردًا حزينًا دامي القلب فلا

---

(١) البيت من البسيط، والشاهد فيه حذف المضاف، والتقدير: ذات إقبال وذات إدبار، والبيت في ديوان الخنساء. شرح وتقديم إسماعيل اليوسف. منشورات دار الكتاب العربي. دمشق: ٥٣، مجالس العلماء: ٢٦٠.

(٢) انظر: شرح المفصل: ٣/ ٢٤.

(٣) كتاب سيبويه: ٣/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٤) الديوان: ١٥٨.

أهل ولا وطن، كما أنه لا يستطيع أن يظفر بعفو الأمير، وفي بطليوس هلَّ عليه العيدان، فزاده ذلك حزنا على أحزانه، فأنشد هذه القصيدة. وفي هذا السياق حذف المضاف (العيد) في قوله: لا فطر يسر ولا أضحى، والتقدير لا عيد الفطر يسرني ولا عيد الأضحى يسعدني، حيث إن لفظ (العيد) يرتبط في الأذهان بمظاهر الود والبهجة والسرور، وهو ما ينافى الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر.

- **الاستهجان**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

عَدَا سمعُه عنِّي وأَصْغَى إلى عِدًا ... لهم في أَدِيمي كلَّما اسْتَمكنوا عَطُّ[2]

يقول الشاعر: إن الأمير قد أصم سمعه عن عتابه، وأصغى إلى دسائس الأعداء، الذين يمزقون سمعته كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا [3]، وقد حذف المضاف في قوله: وأصغى إلى عدا، والتقدير: وأصغى إلى وشايات أو دسائس الأعداء، وحذْف المضاف هنا أعطى إحساسا باستهجان الشاعر لمثل هذا التصرف وإنكاره عليهم، حتى إنه لا يود ذكره في الكلام أو الإشارة إليه.

- **توسيع المعنى وإطلاقه**: كما في قوله (من الكامل) [4]:

مَنْ مبلغٌ عنِّي البلاد إذا نَبَتْ ... أن لستُ للنَّفسِ الأَلُوفِ بباخِعِ[5]

أما الهوانُ فصُنْتُ عنه صَفحةً ... أغْشَى بها حدَّ الزمانِ الشارعِ

لقد حذف الشاعر المضاف في قوله: من مبلغ عني البلاد، والتقدير: من مبلغ عني أهل البلاد، فالشاعر أبيٌّ معتز بنفسه، وهو يريد أن يخبر أهل وطنه الذين تنكَّروا له وجحدوه بذلك، فقد صانَ وجهه عن الذل والهوان وآثر أن يلقى به

---

(١) الديوان: ٢٩١.

(٢) الأديم: الجلد، والعطُّ: التمزيق، ومنه عطَّ الثوب أي: شقه، لسان العرب: ١ / ٩٦ (أ د م)، ٩ / ٢٦٨ (ع ط ط).

(٣) انظر: الديوان ٢٩١، هامش (٣).

(٤) الديوان: ٤٠١.

(٥) بخع نفسه: قتلها غما وغيظا، لسان العرب: ١ / ٣٣١ (ب خ ع).

سلاح الزمن على أن يرغم في التراب [1]، لقد بلغ من اعتزاز الشاعر بنفسه أنه يريد أن يعرف ذلك كل ما في البلاد من حيوان وجماد ونبات، فإذا عرف غير العقلاء اعتزازه بنفسه، فالأحرى أن يعرف العقلاء ذلك.

- **إذا كان المتكلم والمخاطب على علم بالمحذوف:** كما في قوله (من الكامل) [2]:

قَلِّدْنيَ الرَّأْي الجميل فإنَّهُ حسْبي ليَوميْ زينةٍ وعَراكِ

والتقدير: وزارة الرأي والمشورة، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه؛ لأنه معلوم لدى المتكلم (الشاعر)، والمخاطب (الأمير).

وقوله (من الكامل) [3]:

أما الثُّريَّا فالثُّريَّا نسبةً وإفادةً وإنافةً وجمالاً

فحذف المضاف في قوله: الثريا، والتقدير: قصر الثريا، وهو معلوم لدى المتكلم والمخاطب.

ثانيًا: حذف المضاف إليه:

ذهب النحاة إلى جواز حذف المضاف إليه لدليل، إلا أنهم نصُّوا على أن حذفه أقل من حذف المضاف وأبعد في القياس [4]، وذلك " لأن الغرض من المضاف إليه التعريف والتخصيص، وإذا كان الغرض منه ذلك وحُذف كان نقضًا للغرض وتراجعًا عن المقصود" [5].

وقد ورد المضاف إليه محذوفًا في شعر ابن زيدون، وقد حقق هذا الحذف المعانى الآتية:

---

(١) انظر: الديوان: ٤٠١، ٤٠٢ هامش (٤، ٥).
(٢) الديوان: ٣٥٠.
(٣) الديوان: ٥٢٠.
(٤) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ٢٤٣، الجامع الكبير: ١٣٠، شرح المفصل: ٣ / ٢٩.
(٥) شرح المفصل: ٣ / ٢٩.

- **التخصيص**: كما في قوله (من الوافر) [1]:

رآهُ اللهُ أجـــــودَ بالعطَايَـــــا وأطْعـــنَ بالمكايِـــدِ والرِّمـــاحِ[2]

وأفْـــرسَ للمنـــابرِ والمَـــذاكِي وأبْهـــى في الـــبرودِ وفي الـــسِّلاحِ

البيتان في مدح المعتضد بن عباد، وقد حذف الشاعر المضاف إليه في قوله أجود، وأطعن، وأفرس، وأبهى، والتقدير: أجود الملوك بالعطايا، وأطعنهم بالمكايد والرماح، وأفرسهم للمنابر والمذاكي، وأبهاهم في البرود وفي السلاح، وقد أعطى حذف المضاف إليه إحساسًا بتفرد الأمير في هذه الصفات وعلو شأنه وارتفاع منزلته على نحو لا يناصيه فيه أي ملك من الملوك، حتى أن مجرد المقارنة تنعدم بينه وبينهم.

- **العموم والشمول**: وذلك في قوله (من الكامل) [3]:

مهما امْتدحتُ سواك قبلُ فإنَّما مَـدْحِي إلى مَـدْحِي لـك اسْـتطرادُ

البيت في مدح الشاعر للمعتضد، وقد قطع الظرف (قبل) عن الإضافة؛ ليؤكد على أن كل ما صاغه من آيات المدح والثناء في الأمراء والملوك قبل المعتضد لم يكن يعنيهم بهذا المدح، وإنما اتخذهم وسيلة يتدرب عليها ليجيد المدائح، ثم يخص بها الأمير بعد ذلك.

وقوله (من الطويل) [4]:

تهـونُ الرَّزايـا بعـدُ وهـي جَليلـةٌ ويُعرفُ مذ فارقْتَنَا الحادثُ النُّكْرُ

البيت من قصيدة يرثي بها الشاعر أبا الحزم بن جهور، ويرى أن كل مصيبة بعد موت أبي الحزم تهون – وإن عظمت – فموته كان حدثًا جلـلًا لا يُدانيه أي حدث

---

(١) الديوان: ٤٣٢.

(٢) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، لسان العرب: ٥ / ٥١ (ذ ك ا).

(٣) الديوان: ٤٦٥.

(٤) الديوان: ٥٢٧.

مدى الحياة، وقد قطع الشاعر الظرف (بعد) عن الإضافة؛ ليوحي بأن ما يمكن أن يشمله المستقبل من مصائب يهون إذا ما قورن بموت أبي الحزم.

- **الكثرة**: كما في قوله (من الطويل)[1]:

سحائب نُعمى أبْرقتْ وتَدفَّقتْ فَصيِّبُها الجَدْوَى وبارقُها البِشْرُ

البيت في مدح بني جهور، وقد حذف الشاعر المضاف إليه في قوله (سحائب نعمى)، والتقدير: سحاب نعمائكم، وقد أوحى الحذف هنا بكثرة عطاياهم وتدفقها كالمطر الهاطل بالهبات.

- **التعظيم**: وذلك في قوله (من الكامل)[2]:

كرمٌ كماءِ المُزْنِ راقَ خلالُه أدبٌ كروضِ الحزنِ باتَ يُجَادُ

ومحاسنٌ زَهَر الزمانُ بزُهْرِها فكأنَّما أيامُه أعيادُ

وقوله (من الطويل)[3]:

سَجَايا لمنْ والاهُ كالأرْي تُجْتَنَى تعود لمن عاداهُ كالشَّرْيِ يُنْقَفُ[4]

حذف الشاعر المضاف إليه في قوله (كرم)، (أدب)، (محاسن)، (سجايا) والتقدير: كرم الأمير، وأدبه، ومحاسنه، وسجاياه، ولكنه آثر حذف المضاف إليه وجاء بالمضاف غير محدد ليشعر القارئ بعظمة الأمير، وعظمة صفاته وأخلاقه التي لا يحيط بها حد ولا حصر.

ثالثاً: حذف الموصوف:

أشار النحاة إلى القول بضعف حذف الموصوف، فذكر أبو علي الفارسي أن

---

(١) الديوان: ٤٧٥.

(٢) الديوان: ٤٦٤.

(٣) الديوان ٤٩٠.

(٤) الأرْيُ: العسل، والشَّرْيُ بالتسكين: الحنظل، وينقف: يكسر ويشق، لسان العرب: ١ / ١٢٧ (أ ر ي)، ٧/ ١٠٦ (ش ر ي)، ١٤/ ٢٦٩ (ن ق ف).

"إقامة الصفة مقام الموصوف إذا كانت الصفة اسما غير مستحسن، قال: وإذا كان كذلك وجب أن لا يجوز إذا لم تكن اسما"[1]، وأرجعوا السبب في ذلك إلى أن "الصفة والموصوف لما كانا كالشيء الواحد من حيث كان البيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما، كان القياس ألا يحذف واحد منهما؛ لأن حذف أحدهما نقض للغرض وتراجع عما اعتزموه"[2]؛ وذلك لأن الصفة تأتي في الكلام على ضربين: إما للتأكيد والتخصيص، وإما للمدح والذم، وهما من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مقامات الإيجاز والاختصار، فلا يليق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه، يضاف إلى ذلك أن حذف الموصوف قد يؤدي إلى اللبس والإبهام، فإذا قيل: مررت بطويلٍ، لا يتضح من ظاهر هذا اللفظ الممرور به إنسان أو رمح أو ثوب أو نحو ذلك، ومما يؤكد ضعف حذف الموصوف أن هناك من الصفات ما لا يجوز حذف موصوفها، وذلك كأن تكون الصفة جملة، نحو: مررت برجلٍ قام أبوه، ولقيت غلاما وجهُهُ حسنٌ، فإنه لا يصح حذف الموصوف من هاتين الجملتين، فيقال: مررت بقام أبوه، ولقيتُ وجهه حسن، إلا أنهم أجازوا حذفه إذا دلت عليه القرائن الحالية أو اللفظية [3]، قال سيبويه "وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: ما منهم مات حتى رأيته في حال كذا وكذا، وإنما يريد ما منهم واحد مات...، فكل ذلك حذف تخفيفا، واستغناء بعلم المخاطب بما يعني"[4]، ومنه قوله تعالى﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[5]، أي "العبد الشكور"[6].

---

(١) المسائل البصريات. لأبي علي الفارسي. تحقيق: الدكتور محمد الشاطر أحمد. مطبعة المدني ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م: ٢ / ٨٣٨، ٨٣٩.

(٢)شرح المفصل: ٣ / ٥٩.

(٣) انظر: الخصائص: ٢ / ٣٦٨، الجامع الكبير: ١٣١، المثل السائر: ٢ / ٢٤٥، شرح المفصل: ٣ / ٥٩، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٥٤.

(٤) كتاب سيبويه: ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦.

(٥) سورة سبأ: ١٣.

(٦) أمالي ابن الشجري: ١ / ٢٧٥.

وقول النابغة [1]:

كأنَّــك مــن جمــالِ بنــي أُقَــيْشٍ يُقَعْقَــعُ خلــف رجليْــهِ بــشَنِّ

والتقدير: كأنك جمل من جمال بني أقيش، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه؛ لأن"الوصف يقع في موضع الموصوف، إذا كان دالا عليه"[2].

وقد حصر السيوطي (٩١١ هـ) المواضع التي يجوز فيها حذف الموصوف مع وجود القرينة، والصفة مفردة فيما يلي[3]:

- **تقدم ذكر الموصوف**، نحو: ائتني بماء ولو باردا.
- **اختصاص النعت به**، نحو: مررت بكاتب وحائض وراكب صاهلا.
- **مصاحبة ما يعينه**، نحو: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾[4].
- **إجراء الصفة مجرى الأسماء**، نحو: مررت بالفقيه أو القاضي.
- **دلالة الصفة على المدح أو الذم**، نحو: صحبتك طويلا، وجلست قريبا منك.

هذا إذا كانت الصفة مفردة، أما إذا كانت جملة أو شبه جملة، فإنه يجوز حذف الموصوف إذا كان مرفوعا، وكان بعض اسم مقدم مجرورا بـ(من أو في)، فمثال الجملة قولهم: منَّا ظعنَ، ومنَّا أقام، أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام، وقولهم: ما في الناس إلا شكرَ أو كفرَ، أي إلا رجلٌ شكر أو رجل كفر، أما مثال شبه الجملة فنحو قوله تعالى﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾[5]، أي: فريق دون ذلك، وقولهم: ما في بني تميم

---

(١) البيت من الوافر. والشاهد فيه حذف الموصوف، والتقدير: كأنك جمل من جمال بني أقيش، والبيت في ديوان النابغة الذبياني. تحقيق وتقديم: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب. بيروت ١٩٦٩م: ١٩٠،كتاب سيبويه: ٢ / ٣٤٥، المقتضب: ٢ / ١٣٨، شرح المفصل: ٣ / ٦، ضرائر الشعر: ١٧١، شرح الأشموني: ٣ / ٧١، شرح شواهد العيني: ٣ / ٧١.

(٢) المقتضب: ٢ / ١٣٧.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٢ / ١٢٠.

(٤) سورة سبأ: ١٠، ١١.

(٥) سورة الجن: ١١.

إلا فوق ما تريد، أي: رجل فوق ما تريد، فإذا لم يكن الموصوف اسما مقدما مجرورا ب(من أو في) فإنه لا يحذف إلا في الضرورة[1]، كقول الشاعر [2]:

جادتْ بكفَّي كان من أَرْمى البشرْ

وبالرغم من أن النحاة قد نصوا على جواز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه إذا وجد من القرائن ما يدل على هذا الحذف، فإن ابن الشجرى ذهب إلى شذوذ هذا الحذف، قائلا"حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه مما شدد فيه سيبويه وإن كان قد ورد ذلك في الاستعمال على شذوذه"[3]، وهو قول لا يستند إلى أساس سليم، فإن سيبويه نفسه قد أجاز هذا الحذف مع وجود دليل على المحذوف[4]، بالإضافة إلى كثرة الوارد المسموع من حذف الموصوف في الاستعمال القرآني وكلام العرب؛ ولذا فإنه يجوز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه إذا وجد من القرائن الحالية أو اللفظية ما يشير إلى المحذوف، وإلى ذلك ذهب خالد الأزهري فقال"يجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم"[5].

وقد حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه في شعر ابن زيدون، وقد لعب السياق دورا مهما في تعيين المحذوف، وقد حقق هذا الحذف المعاني الآتية:

- **تهويل الموصوف**: كما في قوله (من الكامل) [6]:

يغْشَى التَّجاربَ كهْلُهمْ مُسْتغنيًا بقريحةٍ هي حسْبُه تَجْريبَا[7]

---

(١) انظر: شرح التصريح: ٢ / ١١٨، ١١٩.

(٢) رجز لم يعلم قائله، والشاهد فيه: حذف الموصوف للضرورة، والتقدير: بكفيّ رجل، والرجز في المقتضب: ٢ / ١٣٩، شرح التصريح: ٢ / ١١٨، همع الهوامع: ٢ / ١٢٠، شرح الأشموني: ٣ / ٧١، شرح شواهد العيني: ٣ / ٧١.

(٣) أمالي ابن الشجري: ١ / ٢٧٥.

(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦.

(٥) شرح التصريح: ٢ / ١١٨.

(٦) الديوان: ٣٢٩.

(٧) ترقرق الشيء: تلألأ، أي جاء وذهب. لسان العرب: ٥ / ٢٨٩ (ر ق ق).

وإذا دَعَـوتَ وَليـدهُم لعظيمـةٍ لبَّـاك رقـراقُ الـسَّماحِ أَرِيبَـا

يمدح الشاعر بني جهور، فيذكر أن كهْلهم له ذِهن متوقِّد يغنيه عن التجارب في معالجة مشكلات الحياة. أما وليدهم، فإنه إذا دُعي لأمر خطير بادر بإجابته مُتَهللا في حكمة واتزان[1]، وقد حُذف الموصوف في قوله (لعظيمة)؛ وذلك للتهويل من شأن هذا الموصوف، فمهما كان الأمر عظيمًا أو خطيرًا، فإن الوليد في بني جهور يُقبل عليه وضَّاءً متهللًا لا يبالي بمدى صعوبته.

ويقول ابن زيدون (من الطويل)[2]:

لَعْمرُ العِدا المُستدرِجيكَ بزَعْمهمْ إلى غرَّةٍ كادت لها الشمس تُكسفُ

لكالوكَ صاعَ الغْدرِ لُؤْمَ سَجيّةٍ وكيلَ لهم صاعُ الجزاءِ المُطَفَّفُ

لقد حاولوا العُظْمى التي لا شَوَى لَهَا فأعجلَهم عَقدٌ من الهمِّ مُحْصَفُ[3]

حُذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه في قوله: لقد حاولوا العظمى، والتقدير: لقد حاولوا المؤامرة العظمى، فالشاعر يتحدث عن أولئك الذين دَبَّروا خطة لاغتيال المعتضد، فقد استدرجوه ليأخذوه على غرة، لكنه استطاع أن يبادرهم بتدبير محكم حصيف وجزاهم الجزاء الرادع، واستطاع استئصالهم قبل أن يستأصلوه[4]، وحذف الموصوف في هذا السياق عمَّق الشعور لدى المستمع بهول ما دبروه من مؤامرة لاغتيال الأمير، وعظم ما اقترفوه، في حين تقل حدة هذا الشعور إذا ذكر الموصوف.

- **توسيع معنى الموصوف**: كما في قوله (من البسيط)[5]:

---

(١) انظر: الديوان: ٣٢٨ هامش (٥)، ٣٢٩ هامش (١).

(٢) الديوان: ٤٩١، ٤٩٢.

(٣) الشَّوى: إخطاء المقتل، أو الأمر الهين، والحصيف: الرجل المحكم العقل. لسان العرب: ٧/ ٢٤٨ (ش وا)، ٣/ ٢٠٦ (ح ص ف).

(٤) انظر: الديوان: ٤٩١ هامش (٣، ٤)، ٤٩٢ هامش (١).

(٥) الديوان: ٥٥٢.

إذا ما هـي اسْـتَوفتْ مـن البرِّغايـةً تأتَّتْ لأُخْرى لا تـرى تلـك مَقْنَعَـا

البيت من قصيدة يرثي بها الـشاعر أم المعتـضد، ويقـول: إنهـا إذا بلغـت الغايـة القصوى في أحد وجوه البر والخير، فإنها لا تقنع بذلك بل تتأهب لغيرها من أوجـه البر[1]، وقد حُذف الموصوف في قوله: تأتت لأخرى، والتقدير: تأتت لغاية أخـرى، وحذف الموصوف هنا أوحى بأن ما كانت تقوم به أم المعتـضد مـن أعـمال الخـير لا ينحصر في شيء بعينه، بل يمتد ليشمل كل ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن مـن أعـمال الخير، بينما ذكر الموصوف يضفي عليه نوعًا مـن التحديـد، وهـو مـا لا يتوافـق مـع السياق.

- **إلصاق الصفة بالموصوف**: وذلك في قوله (من الطويل) [2]:

وإن يَسَلِ العافُون جَـدْوَاكَ يُعطِهِـم جـــوادٌ إذا لم يَـــسألُوه تبرَّعَـــا[3]

وقوله (من الطويل) [4]:

وإنَّ رجـائي في الهُـمَامِ ابـن جهـورٍ لمستحِكمُ الأسْباب مُستحصدُ الحبْـلِ[5]

وقوله (من الخفيف) [6]:

وهـو الـدَّهرُ لـيس ينفـكُّ يَنْحُـو بالمُـصابِ العظـيمِ نحـو العظـيمِ

فقد حذف الموصوف في الأبيات السابقة، والتقدير: ملك جـواد، الملـك الهـمام، الرجل العظيم، وحذف الموصوف دل على عمق التصاق الصفة بالموصـوف، وأنهـا متأصلة فيه لا تفارقه.

---

(١) انظر: الديوان: ٥٥٢ هامش (٣).
(٢) الديوان: ٥٥٧.
(٣) العافي: طالب المعروف، لسان العرب: ٩ / ٢٩٥ (ع ف ا).
(٤) الديوان: ٢٦٥.
(٥) المستحصد: المحكم. لسان العرب: ٣ / ٢٠٠ (ح ص د).
(٦) الديوان: ٢٨٠.

- **التركيز على الصفة**: وذلك في قوله (من الكامل) [1]:

مـاذا يُريبُـكِ مـن فتـىً عـزَّ الهَـوَى ... فعَنـا لنَخْوتِـه بذلَّـة خاضِـعِ [2]

هـل غـيْرَ أنْ مَحَـضَ الوفـاءَ لِغـادرٍ ... أو غيْرَ أنْ صَـدَقَ الوِصَـال لقـاطِعِ

حذف الشاعر الموصوف في البيت الثاني، والتقدير: لإنسان غادر، ولإنسان قاطع. ويأتي هذا الحذف في سياق يتوجه فيه الشاعر بالحديث إلى ولادة، متسائلا: ما الذي حملك على اتهام فتى خضع لسلطان الهوى المطلق؟ ماذا فعل غير أنه منح وده ووفاءه لحبيب غدار؟ وصدق في وصاله لحبيب هاجر قاطع للصلات؟ [3]، والموصوف معلوم في هذا السياق فلا داعي لذكره، كما أن حذفه أتاح للسامع أن ينصرف بذهنه للتركيز على صفة الغدر والهجر اللتين وصف بهما الشاعر ولادة.

ويقول (من الطويل) [4]:

وأبـيضَ في طـيِّ الـصَّفِيحِ كأنَّـه ... صـفيحةُ مـأثورٍ طلاقَتُـه الأثْـرُ [5]

حذف الشاعر الموصوف في قوله: صفيحة مأثور، والتقدير: صفيحة سيف مأثور، والبيت من قصيدة يرثي بها الشاعر المعتمد، ويقول: إن الأمير قد ثوى في التراب طلقا وضَّاء كأنه سيف مصقول ثوى في القراب [6]، وحذف الموصوف في هذا السياق أضفى عليه خصوصية وتفردًا، فهو ليس سيفًا عاديًّا؛ لأنه من الصقل والمتانة والوشْي، بحيث يمتاز عن غيره من أنواع السيوف الأخرى؛ ولذا فإن الميزة

---

(١) الديوان: ٤٠٠.

(٢) عنا: خضع وأطاع، والنَّخوة: العظمة والكبر والفخر، ومحض وأمحض: أخلص وصدق. لسان العرب: ٩ / ٤٤٣ (ع ن ا)، ١٤ / ٨٧ (ن خ ا)، ١٣ / ٣٧ (م ح ض).

(٣) انظر: الديوان: ٤٠٠ هامش (١، ٢).

(٤) الديوان: ٥٦٥.

(٥) الصفيحة: السيف العريض، والأثر: فرند السيف ورونقه. لسان العرب: ٧ / ٣٥٥ (ص ف ح)، ١ / ٧١ (أ ث ر).

(٦) انظر: الديوان: ٥٦٥ هامش (٥).

لا تكمن في السيف نفسه، بقدر ما تكمن في صفته، لذلك حذفه الشاعر وأبقى على الصفة.

وقوله (من الوافر) [1]:

إلى الـشَّثْنِ العـزائم إن أُثـيرتْ حفيظتُـه إلى اللَّـدْنِ الخِـلالِ[2]

إن الأمير لين الخلال، ولكنه غليظ شديد عند الغضب، وقد حذف الشاعر الموصوف في قوله: إلى الشثن العزائم إلى اللدن الخلال، والتقدير: إلى الأمير الشثن العزائم، إلى الأمير اللدن الخلال، وهذا الحذف صرف انتباه السامع مباشرة إلى الصفة دون الموصوف؛ لأنه معلوم من السياق، كما أنه أكد هاتين الصفتين في الأمير، وأعطاهما حقهما في الأهمية، على نحو تقل معه هذه الأهمية إذا ذكر الموصوف.

رابعًا: حذف الصفة:

ذهب النحاة إلى أن حذف الصفة قليل في الكلام لا يكاد يقع إلا نادرا [3]، وذلك "لأن الغرض من الصفة إما التخصيص وإما الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار فلا يجتمعان لتدافعهما" [4].

إلا أنهم أجازوا حذف الصفة إذا وُجِد ما يدل عليها من دليل لفظي أو حالي. فالدليل اللفظي، كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ [5]،

---

(١) الديوان: ٥١١.

(٢) الشثن من الرجال: الغليظ، والحفيظة: الغضب، واللدن: اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق. لسان العرب: ٧/ ٣٠ (ش ث ن)، ٣/ ٢٤٣ (حفظ)، ١٢/ ٢٦٦ (لدن).

(٣) انظر: المثل السائر: ٢/ ٢٤٦، الجامع الكبير: ١٣١، همع الهوامع: ٢/ ١٢٠، شرح الأشموني: ٣/ ٧٠.

(٤) شرح المفصل: ٣/ ٦٣، وانظر: الطراز للعلوي: ٢٥٤.

(٥) سورة الكهف: ٧٩.

والتقدير: كل سفينة صالحة، لدلالة قوله تعالى (فأردت أن أعيبها) على المحذوف[1]، وأما الدليل الحالي فإن لابن جني حديثا طويلا يشير فيه إلى ما يمكن أن يقوم به التنغيم وتعبيرات الوجه في فهم المحذوف، وذلك قولهم: سير عليه ليل، والتقدير: ليل طويل، لدلالة الحال على المحذوف لما في الكلام من تنغيم وتفخيم وتعظيم يقوم مقام الصفة (طويل)، وأيضا عندما تكون في مدح إنسان وتقول: (كان والله رجلا) فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) وتمطط اللام وتطيل الصوت بها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما، وإذا كنت في ذم إنسان وقلت (كان إنسانا) وتزوي بوجهك وتقطبه، أي: إنسانا لئيمًا أو بخيلاً. أما إذا لم يوجد من القرائن الحالية أو اللفظية ما يدل على حذف الصفة امتنع حذفها [2].

إن كلام ابن جني يدل على وعي كامل " باعتبار المقام والمقال في فهم الباب النحوي، فقد أضحى التنغيم وتعبيرات الوجه من دلائل فهم الباب النحوي. وما كان لنا أن نفهم الصفة المحذوفة إلا بها " [3].

وقد حذفت الصفة في شعر ابن زيدون لتحقيق الغرضين الآتيين:

- **حذف الصفة والإتيان بما يغني عنها**: كما في قوله (من الطويل) [4]:

تَـذكرتُ أيَّـامي بهـا فتبـادَرَتْ دُمـوعٌ كـما خَـان الفرِيـدَ نِظَـامُ

أخذ الشاعر – وهو في إشبيلية – يتذكر مراتع لهوه وأيامه بقرطبة، فسالت دموعه الغزيرة حزنا على انقضاء هذه الأيام، وقد حذف الصفة واقتصر على الموصوف (دموع)، والتقدير: دموع كثيرة أو غزيرة، وجاء بما يغني عنها، وذلك

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج. شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي. مطبوعات دار الحديث بالقاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ٣ / ٣٠٥، المثل السائر: ٢ / ٢٤٧.

(٢) انظر: الخصائص: ٢ / ٣٧٢، ٣٧٣، المثل السائر: ٢ / ٢٤٦، ٢٤٧، الجامع الكبير: ١٣١، ١٣٢، الطراز: ٢٥٤، شرح المفصل: ٣ / ٦٣.

(٣) من وظائف الصوت اللغوي: ٥٨.

(٤) الديوان: ١٥٢.

قوله (كما خان الفريد نظام) وهذه الجملة تحمل في دلالتها أكثر مـا تحملـه أي صـفة يذكرها الشاعر، فهو يشبه دموعه الغزيرة المتساقطة، بحبات العقد المتناثرة التي انفرط عقدها.

وقوله (من الكامل) [1]:

واهًا لأيامٍ خلتْ ما عَهدُها ... في حين ضيَّعتِ العُهودَ بضائعِ[2]

زَمنٌ كما رَاق السَّقيطُ من النَّدَى ... يَسْتنُّ في صفحات وردٍ يانعِ

حُذِفت الصفة في قوله: زمن، فلم يقل: زمن طاب أو راق كما راق السقيط..، فحذف الصفة وجاء بما يغنى عنها، بل ويزيد عليها في المعنى، فهو يصف زمانه القديم مع محبوبته - وهو الآن أبعد ما يكون عن هذا الزمن- فيقول إنه كان زمنًا سعيدًا ناعمًا طيبًا كطيب النَّدى المترقرق المتساقط فوق أوراق الورد النضير المتفتح[3]، ولا يمكن للصفة وحدها أن توحي بهذا المعنى.

- **الإيحاء بتعدد الصفات**: وذلك في قوله (من الطويل) [4]:

لئنْ أُتْبعتْ منَّا غَمامةُ رَحمةٍ ... لقد ظَلَّلَتْ ذاك السرير المُرفَّعَا

سريرٌ بأملاكٍ وزُهْر ملائكٍ ... إلى جنةِ الفردوس رَاح مُشيَّعا

يرثي الشاعر أم المعتضد، فيقول: إن غمائم الرحمات قد ظلَّلت نعشها، وشيَّع جثمانها الملوك والملائكة، وفي هذا السياق حذف الشاعر الصفة في قوله: سرير، فجعله معلقًا دون أن يحدده بصفة، مما يوحي بتعدد أكثر من صفة لنعش الفقيدة، فهو محمول محاط بالملوك، محفوف بالملائكة، مما يوحي بعظمة الفقيدة وعلو منزلتها.

---

(١) الديوان: ٤٠٠.

(٢) سقيط الندى: ما سقط منه على الأرض، واستنَّ: اضطرب. لسان العرب: ٦ / ٢٩٣ (س ق ط)، ٦ / ٤٠٠ (س ن ن).

(٣) انظر: الديوان: ٤٠٠ هامش (٥).

(٤) الديوان: ٥٥١.

خامسًا: حذف الحال:

أشار ابن جني إلى أن "حذف الحال لا يحسن. وذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها، وما طريقه التوكيد غير لائق به الحذف؛ لأن حذفه ضد الغرض ونقيضه"[1]،إلا أن النحاة اتفقوا على جواز حذف الحال في مواضع معينة هي:

- **إذا كان الحال قولًا أغنى عنه مقول القول** [2]: كقوله تعالى ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ [3]، أي: قائلين سلام عليكم [4].

- **يجوز حذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه**، نحو: قتلته صبرًا، وأتيته ركضًا، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** ﴾ [5]، (فدأبا) يقدر بالفعل، والتقدير: (تدأبون) في موضع الحال [6].

- **يحذف الحال في مثل قولهم**: كلمته فاه إلى فيّ فمذهب البصريين أنه على كلمته مشافهةً، فوضع (فاه إلى فيّ) موضع (مشافهة) والعامل فيها الفعل (كلمتُه)، وعلى هذا التقدير فلا حذف عند البصريين[7]، أما الكوفيون فإنهم يقدرون حالا محذوفة في قولهم (كلمته فاه إلى فيّ) أي: جاعلا فاه إلى فيّ [8].

والرأي ما ذهب إليه ابن جني في حذف الحال إذا وجد من القرائن ما يدل على المحذوف، كقوله تعالى ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه ﴾ [9] أي " فمن شهده

---

(١) الخصائص: ٢ / ٣٨٠.

(٢) انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب. لابن هشام. تحقيق حنا الفاخوري. دار الجيل. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١١ هـ - ١٩٩١م: ٢ / ٣٧٠.

(٣) الرعد: ٢٣، ٢٤.

(٤) انظر: الكشاف: ٢ / ٣٥٨.

(٥) سورة يوسف: ٤٧.

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٧٩.

(٧) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٣٩١، المقتضب: ٣ / ٢٣٦، شرح المفصل: ٢ / ٦١.

(٨) انظر: أمالي ابن الشجري: ١ / ٢٣٦، ٣ / ١٩.

(٩) سورة البقرة: ١٨٥.

صحيحا بالغا، فطريقه أنا لما دلت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفا. وأما لو عريت الحال من هذه القرينة وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجه "[1].

وقد حذفت الحال في شعر ابن زيدون، وكان من عادة ابن زيدون أن يحذف الحال الصريحة، ويأتي بجملة طويلة تقوم مقامها وتؤدي معناها على نحو أكمل، فمن ذلك قوله (من الطويل)[2]:

سَلِ المعْشر الأعداءَ إن رُمتَ صَرْفهمْ

عن القَصْدِ إن أعْياكَ منه مرامُ[3]

أتَوْك كَآسادِ الشَّرَى فرددْتهمْ

كما أجْفلتْ وسط الفَلاةِ نعامُ

فالشاعر يصور هؤلاء الأعداء الذين أتوا لمحاربة الأمير، وكانوا كالآساد- بما يحمله اللفظ من القوة والشراسة - ولكنهم ما لبثوا أن أصابهم الخوف والذعر من الأمير ففروا هاربين، وسرعان ما تحولت هذه الآساد إلى أنعام، وفي هذا السياق حذف الشاعر الحال، فلم يقل: فرددتهم مذعورين أو خائفين، ولكنه جاء بصورة حية تجسد حالة هؤلاء الأعداء عندما أصابهم الخوف والذعر من الأمير على أكمل وجه، لقد كانوا كالأنعام التي أصابها الخوف والذعر ففرت هاربة وسط الصحراء، فيستحضر المستمع الحالة التي كان عليها هؤلاء الأعداء، في حين يقلل ذكر الحال من فاعلية هذه الصورة.

---

(١) الخصائص: ٢ / ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) الديوان: ٢٣٥.

(٣) الشَّرى: طريق كثيرة الأسود، وأجْفل القوم: هربوا مسرعين. لسان العرب: ٧ / ١٠٦ (ش ر ي)، ٢ / ٣٠٩ (ج ف ل).

وقوله (من الطويل) [1]:

مئـينٌ مـن الأيـامِ خمسٌ قطعتُهـا أسيرًا وإنْ لم يَبْدُ شدٌّ ولا قَمْطُ[2]

أَتتْ بي كما مِيصَ الإناءُ مـن الأَذى وأذْهبَ ما بالثوبِ مـن دَرنٍ مَسْطُ

حُذف الحال في قوله: أتت بي كما ميص الإناء من الأذى، والتقدير: أتت بي نقيا أو طاهرا، فالشاعر يتحدث عن أيامه التي قضاها في السجن وكيف جعلته هذه الأيام طاهرا نقيا من الضغائن والأحقاد، وقد استغنى عن ذكر الحال بجملة طويلة، فهو يشبه طهارة نفسه ونقائها من ضغائنها وأحقادها بطهارة الوعاء من القذى، والثوب من الأقذار، وهي صورة حسية تجعل السامع يتمثل حالة التغير التي أحدثتها محنة السجن في شخص الشاعر.

سادسًا: حذف المعطوف مع حرف العطف:

أجاز النحاة حذف المعطوف إذا وجد ما يدل عليه، ولكنهم أوجبوا حذف حرف العطف معه، فإذا" حذف المعطوف لم يجز أن يبقى الحرف العاطفه قبله بحاله؛ لأن حرف العطف لا يجوز تعليقه"[3]، وخصوا بذلك حروف (الفاء والواو وأم) [4]، أما ما ورد من حذف المعطوف وبقاء حرف العطف فموقوف على ضرورة الشعر[5]. ومما ورد فيه حذف المعطوف مع حرف العطف قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

---

(١) الديوان: ٢٨٩.

(٢) القمط: شد اليدين والرجلين معا، وميص: غُسل، والموص: غسل الثوب غسلا لينا، والدرن: الوسخ، ومَسَط الثوب: بلَّه ثم حرَّكه ليستخرج ماءه. لسان العرب: ١١ / ٣٠٣ (ق م ط)، ١٣ / ٢٣٣ (م وص)، ٤ / ٣٣٩ (د ر ن)، ١٣ / ١٠٦ (م س ط).

(٣) الخصائص: ١ / ٢٩٢، وانظر: مغني اللبيب: ٢ / ٣٦٠، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٥٧، شرح التصريح: ٢ / ١٥٣.

(٤) انظر: شرح التصريح: ٢ / ١٥٣، شرح الأشموني: ٣ / ١١٦.

(٥) انظر: الخصائص: ١ / ٢٩٢.

عَيْناً﴾[1]، أي: فضرب فانبجست [2]، وقوله تعالى ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾[3]، أي تقيكم الحر والبرد، فلم يقل: البرد؛ لأن الحر قد دل عليه [4]، ومنه أيضا قولهم: راكب الناقة طليْحان، أي: راكب الناقة والناقة طليحان، فحذف المعطوف مع العاطف لتقدم ذكر الناقة بدليل تثنية الخبر، وإن لم يحذف المعطوف مع حرف العطف لأفرد الخبر [5].

وقد ورد حذف المعطوف مع حرف العطف في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [6]:

أعاد الصَّباحَ الطَّلْقَ ليلاً عَليْهِمُ فَحَار وثَنَّى نَاظِرَ الشَّمس أَرْمدَا

حيث حذف الشاعر المعطوف مع حرف العطف في قوله (وثنى ناظر الشمس)، والأصل (وثنى فأصاب ناظر الشمس)، والشاعر هنا يصف المعركة التي دارت بين الأمير وأعدائه وكيف انتصر عليهم، والحذف هنا أعطى إحساسا بمدى شدة هذه المعركة، وتمثل الحركة السريعة الخاطفة لانقضاض الأمير على أعدائه، فقد أعاد الصباح المشرق ليلا حالكا عليهم بما أثاره من غبار المعركة، فعاد إليهم الظلام، ثم أتى بأمر ثان فأصاب ناظر الشمس بالرمد [7].

وقوله (من الطويل) [8]:

ولما حَضَرْنَا الإذنَ والدَّهرُ خادمٌ تُشيرُ فَيمضِي والقضاءُ مصرِّفُ

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٠.
(٢) انظر: الكشاف ٢ / ١٢٤.
(٣) سورة النحل: ٨١.
(٤) انظر: معاني القرآن. للفراء: ٢ / ١١٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣ / ٢١٥، الكشاف: ٢ / ٤٢٣.
(٥) انظر: الخصائص: ١ / ٢٩٠، ٢ / ٣٧٥، شرح التصريح: ٢ / ١٥٤، شرح الأشموني: ٣ / ١١٦، حاشية الصبان: ٣ / ١١٦.
(٦) الديوان: ٤٧٥.
(٧) انظر: الديوان: ٤٧٥ هامش (٢).
(٨) الديوان: ٤٩٦.

وصلْنا فقبَّلْنا النَّدى مِنكَ في يدٍ بها يُتْلفُ المالُ الجسيمُ ويُخلَفُ

فقد حُذف المعطوف مع حرف العطف في قوله: ولما حضرنا الإذن، والتقدير ولما حضرنا وأخذنا الإذن، والشاعر يمدح المعتضد ويقول: لما حضرنا إلى قصرك وأخذنا الإذن بالدخول، وصلنا إليك، فقبلنا يديك التي هي مثال الجود والسخاء، وقد أوحى حذف المعطوف مع حرف العطف هنا بسرعة حصولهم على الإذن بالدخول إلى القصر، فلم يلبثوا طويلا للحصول على هذا الإذن، فبمجرد وصولهم إلى القصر سُمح لهم بالدخول إلى الأمير. أما ذكر المعطوف مع حرف العطف هنا فإنه يعطي إحساسا بأنهم قد مكثوا مدة للحصول على هذا الإذن، وهو ما لا يتفق مع صفات الأمير الذي يتسم بالجود ومكارم الأخلاق.

سابعًا: حذف (من) التفضيلية مع مجرورها:

أجاز النحاة حذف (من) بعد أفعل التفضيل مع مجرورها للعلم بها، وكثيرا ما تحذف مع مجرورها إذا كان (أفعل) خبرا أو حالا، نحو قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[1]، أي: أكبر من كل شيء، وقوله: وقد خلناك كالبدر أجملا[2].

وقد ورد حذف (من) التفضيلية مع مجرورها في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل)[3]:

لـه ظِـلٌّ نُعْمـى يَـذكر الهِـمُّ عنـدهُ ظلالَ الصِّبا بل ذاك أنْـدَى وأوْرفُ[4]

يمدح الشاعر المعتضد ويقول إن ظلال نعمه يَنسى الشيخ الفاني تحتها ظل

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ٣٣، شرح المفصل: ٦ / ٩٧ – ٩٩، النكت الحسان: ١٤٠، ارتشاف الضرب: ٣ / ٢٢٨، ٢٢٩، البرهان: ٣ / ١٥٤، شرح التصريح: ٢ / ١٠٢، ١٠٣، شرح الأشموني: ٣ / ٤٥، ٤٦.

(٣) الديوان: ٤٨٨.

(٤) الهِمُّ. بكسر الهاء: الشيخ الكبير الفاني، وأورف: من أورف الظل: اتسع وطال وامتد، لسان العرب: ١٥ / ١٣٨ (هـ م م)، ١٥ / ٢٧٤ (و ر ف).

شبابه، ويرى ظلال الأمير أوسع مدى وأندى نسيما [1]، وقد حذف (من) مع مجرورها في قوله: أندى وأورف؛ ليبين أنه ليس هناك من يفوق الأمير من البشر في نعمه، فهو يفوق غيره في امتداد نعمه واتساعها، فلا يقارنه أحد في ذلك، أما ذكر (من) ومجرورها في هذا السياق فإنه سيحصر نطاق نعم الأمير فيمن يُقارَنُ بهم فقط.

وقوله (من مجزوء الوافر) [2]:

أَعِدْ نَظَرًا فإنَّ البَغْـ ... ـي مِمَّا لم يزلْ يصْرعْ

ولا تطعِ التي تُغْوي ... ك فهْي لبغْيِهِمْ أطْوعْ

الأبيات من قصيدة يعاتب فيها الشاعر أبا عبد الله بن القلاس – الذي أحب ولادة بعد انصراف الشاعر عنها – ويطلب منه ابن زيدون أن ينصرف عن ولادة، ويقول له: لا تستجب لإغوائها ولا تطعها فإنها أطوع قيادا لكل طالب، فهي تتدلل وتتمايل وتستجيب لكل راغب فيها [3]، وقد حذفت (من) التفضيلية مع مجرورها في قوله: فهي لبغيهم أطوع، والتقدير: فهي أطوع لبغيهم من طاعتك إياها، وذكر الجار والمجرور هنا يحد من نطاق فجرها وفسادها، أما الحذف في هذا السياق فيوحي بأنها أطلقت لنفسها العنان لتفعل كل ما يعف اللسان عن ذكره. وهذا ما يريد الشاعر إبرازه والتأكيد عليه.

---

(١) انظر: الديوان: ٤٨٨ هامش (٥).

(٢) الديوان: ٥٨٠.

(٣) انظر: الديوان: ٥٨٠ هامش (٦).

المبحث السادس

حذف الحروف

أشار النحاة إلى أن الحروف غير جائز فيها الحذف أو الزيادة " وأن أَعدل أحوالها أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة، فأما وجه القياس في امتناع حذفها فمن قبل أن الغرض في الحروف إنما هو الاختصار، ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت (ما) عن (أنفي)، وإذا قلت: هل قام زيد؟ فقد نابت (هل) عن (أستفهم)، فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار، فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفًا لأفرطت في الإيجاز، لأن اختصار المختصر إجحاف به "[1]، إلا أنه قد ورد حذفها في الاستعمال اللغوي اعتمادًا على القرينة، ولقوة الدلالة على المحذوف[2].

وقد تعددت صور حذف الحروف في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولاً: حذف واو الحال:

لا تخلو الجملة الواقعة حالًا من أن تكون فعلية أو اسمية، ولا بد فيها من رابط يربطها بصاحبها ويعلقها به، وهذا الرابط قد يكون الواو أو الضمير أو كليهما[3]، فإن كانت جملة الحال فعلية فإن الواو لا تدخل عليها إلا إذا كان الفعل ماضيًا

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني. تحقيق الدكتور حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الثانية. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ١ / ٦٩، وانظر: المحتسب: ١ / ٥١، الخصائص: ٢ / ٢٧٦، شرح المفصل: ٢ / ١٥، البرهان: ٣ / ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) انظر: شرح المفصل: ٢ / ١٥.

(٣) انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ٨٤.

مسبوقا بقد، فيقال: جاء زيد وقد وضع يده على وجهه. وقد تحذف الواو، فيقال: جاء زيد قد عرق[1]. أما إذا كانت جملة الحال اسمية فإنه " يلزم أن تأتي بما يعلق الجملة الثانية بالأولى؛ لأن الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه، فإذا وقعت الجملة حالا فلابد فيها مما يعلقها بما قبلها ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة، وذلك يكون بأحد أمرين، إما الواو، وإما الضمير يعود منها إلى ما قبلها "[2].

فمن الربط بالواو، قوله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[3]، والتقدير " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر هذا أمره ما نفدت كلمات الله "[4]، ومن الربط بالضمير: أقبل محمد يده على رأسه.

ويجوز حذف الضمير من جملة الحال الاسمية اكتفاءً بالواو، نحو: جاء زيدٌ وعمرٌو حاضرٌ، وتحذف الواو اكتفاء بالضمير، نحو: خرج أخوك يدُه على وجهه[5]، ومنه قول الشاعر[6]:

نَصفَ النهارُ الماءُ غامِرُهُ ورَفيقُه بالغيبِ ما يَدْرِي

أما إذا لم يوجد الضمير فلا بد من ذكر الواو، قال المبرد " وإذا كان في الثانية ما يرجع إلى الأول جاز ألا تعلقه به بحرف العطف، وإن علقته به فجيد، وإذا كان الثاني لا شيء فيه يرجع إلى الأول فلابد من حرف العطف "[7].

---

(١) انظر: أمالي ابن الشجري: ٣/ ١١، ١٢.
(٢) شرح المفصل ٢/ ٦٦.
(٣) سورة لقمان: ٢٧.
(٤) كتاب سيبويه: ٢/ ١٤٤.
(٥) انظر: المقتضب: ٤/ ١٢٥، أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٢، شرح المفصل: ٢/ ٦٥، ٦٦.
(٦) البيت من الكامل. للمسيب بن علي يصف غواصا، والشاهد فيه حذف الواو من جملة الحال (الماء غامره) اكتفاء بالضمير، والبيت في إصلاح المنطق. تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف ١٩٤٩م: ٢٦٩، وفيه: (شريكه) بدلا من (رفيقه)، دلائل الإعجاز:٢٠٣، أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٢، شرح المفصل: ٢/ ٦٥، مغني اللبيب: ٢/ ٣٧٢.
(٧) المقتضب: ٤/ ١٢٥.

وقد ورد حذف واو الحال من الجملة الاسمية الواقعة حالا مع وجود الضمير في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

قَعيـــدَك أنَّـــى زُرْتِ ضَـــوؤُكِ ســـاطعٌ

وطيبُـــك نفَّـــاحٌ وحلْيُـــكِ هَـــادلُ[2]

هبيـكِ اغْـتررْتِ الحـيَّ واشـيكِ هـاجعٌ

وفرعُـــك غِربيـــبٌ ولَيلُـــك لائـــلُ

فـأنَّى اعْتـسفْتِ الهَـولَ خَـصْركِ مُـدْمجٌ

ورِدفـــك رَجْـــراجٌ وعِطْفـــكِ مائـــلُ

حذف الشاعر واو الحال في قولـه: ضـوؤك سـاطع، واشـيك هـاجع، خـصرك مدمج، مكتفيا بالضمير في الجمل الثلاث. وهو هنا يتحدث عن محبوبته التي فاجأته بزيارتها ليلا وخفية، وهو يتعجـب مـن زيارتهـا ويقـول: كيـف اسـتطعت زيـارتي وحولك العيون والرقباء، ووجهك وضاء يجذب الأبـصار، وطيبـك فـواح يلفـت الناشقين، وحليك رنَّان ينبه الأسماع، وإذا كنت قد استطعت خداع قومـك، وكـان الوشاة نائمين، وشعرك يسترك بـسواده في ليـل شـديد الظلمـة، فكيـف اسـتطعت اقتحام الطريق الصعب مع أنك ضامرة الخصر ثقيلـة الـردف مائلـة الجانـب[3]، إن الشاعر يجد نفسه فجأة في جوف الليل أمام من يحبُّ ويخاطبه، كما أنـه يتعجـب مـن زيارتها في هذا الوقت من الليل، وكيف استطاعت الهروب من أعين الرقباء دون أن تلفت إليها الأنظار، وكيف استطاعت اقتحام الطريـق الـصعب حتـى وصـلت إلى

---

(١) الديوان: ٣٩٠.

(٢) الهديل: صوت الحمام، وهدل: إذا صوَّت، والغربيب: الشديد السواد، واعتسف الطريق: قطعه دون صوب توخاه فأصابه. لـسان العـرب: ١٥ / ٥٣ (هـ د ل)، ١٠ / ٣٨ (غ ر ب)، ٩ / ٢٠٦ (ع س ف).

(٣) انظر: الديوان: ٣٩٠ هامش (١، ٢، ٣).

مكان الشاعر، كما أنه يخاف أن يراها أحد الوشاة. كل ذلك جعل الكلام ينفرط من الشاعر وتسقط منه بعض الروابط تحت تأثير عنصري المفاجأة والتعجب.

ثانيًا: حذف حرف النداء:

الغرض من حرف النداء هو " امتداد الصوت وتنبيه المدعو "[1]، إلا أن النحاة أجازوا حذف حرف النداء إذا لم يكن المنادى اسما مبهما، أو وصفا لأي، أو مستغاثا به، أو مندوبا، أو اسم جنس، أو متعجبا منه، أو لفظ الجلالة (الله)[2]، وقد خصوا الياء بالحذف دون سائر حروف النداء لكثرة استعمالها[3].

وقد حذف ابن زيدون حرف النداء في ديوانه وذلك للأغراض الآتية:

- **حين يضع الشاعر المنادى موضع القريب من نفسه:** كما في قوله (من الرمل)[4]:

مُنيـــةَ الـــصَّبِّ أغِثْنـــي ... قـــد دَنَـــتْ منِّـــي المنُـــونْ

واحفـــظِ العْهـــدَ فـــإنِّي ... لـــــستُ والله أخُـــــونْ

حذف حرف النداء في قوله: منية الصب، ولا شك أن المحبوبة قريبة من نفسه لا تحتاج إلى نداء.

وقوله (من الطويل)[5]:

عليـكَ أبـا بكـرٍ بكـرْتُ بهمَّـةٍ ... لهـا الخَطَـرُ العـالي وإن نالهَـا حَـطُّ

---

(١) شرح المفصل: ٢ / ١٥.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ٢٣٠، ٢٣١، المقتضب: ٤ / ٢٥٨، ٢٥٩، شرح المفصل: ٢ / ١٥، ١٦، مغني اللبيب: ٢ / ٣٨١، شرح التصريح: ٢ / ١٦٤، ١٦٥، الأشباه والنظائر للسيوطي: ٢ / ١٣٣.

(٣) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٥٥.

(٤) الديوان: ١٧٢.

(٥) الديوان: ٢٨٨.

أَبِي بعـدما هيـلَ الـتُّرابُ عـلى أبي ورَهْطِيَ فذًّا حيث لم يَبـقَ لي رَهْـطُ

يتوجه الشاعر بالحديث إلى أستاذه أبي بكر النحوي، ويقـول لـه: لقـد توجهـت إليك بهمة عالية، فأنت أبي بعد موت أبي، وأنت أهلي حين فقدت أهلي [1]، وإذا كان الشاعر يرى في أبي بكر الأب بعد فقد أبيه، فهو من القرب منه بحيـث لا يحتـاج إلى نداء.

- **استعطاف المنادى**: وذلك في قوله (من الطويل) [2]:

أبـا الحـزمِ إني في عِتابِـكَ مائـلٌ على جانبٍ تَأْوِي إليه العُـلا سَـهْلِ

البيت من قصيدة نظمها الشاعر في سجنه، وهو يستعطف أبا الحزم ليفـك أسره، فينزله من نفسه منزلة القريب لعله يتعطف عليه، ومن ثـم أسـقط حـرف النـداء في السياق.

- **الاحتقار والحط من شأن المنادى**: كما في قوله (من المتقارب) [3]:

أَرى كـلَّ بَحْـرٍ أبـا عـامرٍ يُـسَرُّ إذا في خَـلاءٍ ركَـضْ

وقوله (من المتقارب) [4]:

أبـا عـامرٍ أيـن ذاك الوفـاءُ إذ الدَّهرُ وسنانُ والعيشُ غـضْ[5]

وقوله (من المتقارب) [6]:

أبـا عـامر عشـرةً فاسـتقلْ لتـبرم مـن ودنـا مـا انـتفضْ

---

(١) انظر: الديوان: ٢٨٨ هامش (٢، ٣).
(٢) الديوان: ٢٦٦.
(٣) الديوان: ٥٨٤.
(٤) الديوان: ٥٨٤.
(٥) وسنان: نائم غير مستغرق، والغض: الطري. لسان العرب: ١٥ / ٣٠٣ (وس ن)، ١٠ / ٨١ (غ ض ض).
(٦) الديوان: ٥٨٨.

والأبيات الثلاثة من قصيدة يهجو فيها الشاعر أبا عامر بن عبدوس منافسه في حب ولادة، ولاشك أن ابن زيدون يبغضه ويحتقره، ومن ثم فإن حذف حرف النداء في قوله: أبا عامر؛ لتحقير المنادى والحط من شأنه.

ثالثا: حذف حرف العطف:

اختلف النحاة في حذف حرف العطف، فأجازه الفراء وأبو على الفارسي وابن الشجري وابن عصفور والأشموني شعرا ونثرا [1]، واحتج أنصار هذا الرأي بما روي عن أبي زيد من حذف حرف العطف في نحو قولهم: أكلت لحمًا، سمكًا، تمرًا، وما حكاه أبو الحسن: أعطه درهما، درهمين، ثلاثة [2]، كما احتجوا أيضا بما ورد في القرآن الكريم والشعر من حذف حرف العطف، فمن القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[3]،فحذفت الفاء في الفعل (قال)، ومن الشعر استشهدوا بما أنشده أبو الحسن الأخفش [4]:

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ ممَّا ... يزرعُ الوُدُّ في فؤادِ الكريمِ

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٤٣، ٤٤، أمالي ابن الشجري: ١ / ١١٧، ٢ / ١٤٥، شرح الأشموني: ٣ / ١١٦، حاشية الصبان:٣ / ١١٦.

(٢) انظر: الخصائص: ١ / ٢٩١، ٢ / ٢٨٢، مغني اللبيب: ٢ / ٣٧١، شرح الأشموني: ٣ / ١١٧.

(٣) سورة البقرة: ٦٧، وانظر: شواهد قرآنية حذف فيها حرف العطف في معاني القرآن للفراء: ١ / ٤٤، أمالي ابن الشجري: ٢ / ١٤٥، مغني اللبيب: ٢ / ٣٧١، البرهان: ٣ / ٢١٠ - ٢١٢.

(٤) البيت من الخفيف، والشاهد فيه حذف حرف العطف، والتقدير: كيف أصبحت وكيف أمسيت، والبيت في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري. تصحيح الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي. مكتبة القدس. القاهرة: ٢ / ٢٢٥، الخصائص: ١ / ٢٩١، ٢/ ٢٨٢، نتائج الفكر في النحو للسهيلي: ٢٠٧، ضرائر الشعر: ١٦١، ما يجوز للشاعر في الضرورة: ١٦٨، همع الهوامع: ٢ / ١٤٠.

ومنه أيضا قول ابن الأعرابي [1]:

وكيف لا أبْكِي على عِلاَّتي صَبائحِي غَبائقِي قَيْلاتِي

كما استشهدوا أيضا بقول الراجز [2]:

لما رأيتُ نبطًا أنصارا شَمَّرت عن رُكبتي الإزارا

كنت لها من النَّصارى جارا

وذهب أنصار هذا الرأي إلى أن الذي يقدر من حروف العطف: الواو والفاء وأو[3]، بيد أن هناك من النحاة من قصر حذف حرف العطف على الشعر فقط، فذهب ابن هشام إلى أن " بابه الشعر " [4]، واستشهد بقوله الحطيئة [5]:

إن امرأً رَهطُه بالشامِ مَنْزلُه برملٍ يبْرينَ جارًا شدَّ ما اغْتَرَبا

وهناك طائفة أخرى من النحاة ذهبت إلى عدم جواز حذف حرف العطف، فأشار ابن جني إلى أن حذف حرف العطف شاذ [6]، وتابعه في ذلك السهيلي الذي أشار إلى أنه " لا يجوز إضمار حروف العطف خلافا للفارسي ومن قال بقوله؛ لأن الحروف أدلة على معان في نفس المتكلم، فلو أضمرت لاحتاج المخاطب إلى وحي

---

(١) البيت من السريع، والشاهد فيه: حذف حرف العطف، والتقدير: صبائحي وغبائقي وقيلاتي، والبيت في الخصائص: ١ / ٢٩١، ٢ / ٢٨٢، لسان العرب: ١١ / ٣٧٥ (قيل)، ضرائر الشعر: ١٦١.

(٢) الرجز في معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٤، أمالي ابن الشجري: ١/ ١١٨، ٢/ ١٤٥، والشاهد فيه حذف الفاء في قوله: كنت، والتقدير: فكنت.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٤٣، ٤٤، وأمالي ابن الشجري: ١ / ١١٧، ٢ / ١٤٥، شرح الأشموني: ٣ / ١١٧.

(٤) مغنى اللبيب: ٢ / ٣٧١.

(٥) البيت من البسيط، والشاهد فيه: حذف (الواو) في قوله: منزله، والتقدير: ومنزله، والبيت في ديوان الحطيئة بشرح أبي الحسن السكري. تصحيح أحمد بن الأمين الشنجيطي. مطبعة التقدم. القاهرة. بدون تاريخ: ٥، أمالى ابن الشجري: ١ / ١١٨، ٢ / ١٤٥، مغني اللبيب: ٢ / ٣٧١.

(٦) انظر: الخصائص: ١ / ٢٩١، ٢٩٢.

يسفر به عما في نفس مكلمه، وحكم حروف العطف في هذا حكم حروف النفي والتوكيد والترجي وغير ذلك "[1].

وقد أول السهيلي الشواهد التي احتج بها القائلون بجواز الحذف تأويلات أخرى غير حذف حرف العطف، ويرى أن حذف حرف العطف يخل بالمعنى أو يحول الكلام إلى معنى آخر غير المعنى المراد[2].

ولعل الرأي القائل بجواز حذف حروف العطف هو الأقرب إلى واقع اللغة التي تبيح الحذف عند وجود قرينة، وشأن حروف العطف في ذلك شأن حروف الجر وحروف النداء، وإذا كان ابن جني - وهو من القائلين بمنع حذف الحروف- وحكَم على ما ورد محذوفا من حروف العطف بالشذوذ[3]، فإنه قد وقع في تناقض عندما نص في كتابه المحتسب على جواز حذف الحروف عند وجود ما يدل عليها[4]، وهو شرط عام في الحذف، يضاف إلى ذلك أن " حذف حرف العطف نثرا وشعرا رأي تدعو إليه الحاجة في الاستعمال اللغوي المعاصر، حيث يكثر حذف حروف العطف في الشعر، وفي القصة القصيرة، وفي بعض المقالات "[5].

وقد حذف ابن زيدون حرف العطف وذلك في المواضع الآتية:

- عندما تتملك المتكلم مشاعر الغضب والغيرة فيندفع بالكلام فتسقط منه بعض الروابط:

كما في قوله (من البسيط)[6]:

---

(١) نتائج الفكر في النحو للسهيلي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض. دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م: ٢٠٧.

(٢) انظر: نتائج الفكر في النحو: ٢٠٧، ٢٠٨، ظواهر نحوية في الشعر الحر: ١١٧.

(٣) انظر: الخصائص: ١ / ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) انظر: المحتسب: ١ / ٥١.

(٥) ظواهر نحوية في الشعر الحر. دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور. للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف. مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى ١٩٩٠م: ١١٧.

(٦) الديوان: ١٩٦.

أَكــرمْ بــولادةٍ ذُخْــرًا لمــدَّخرٍ لــو فرَّقــتْ بــين بَيْطــارٍ وعَطَّــارِ

قــالوا أبــو عَــامرٍ أضْــحَى يُلــمُّ بهــا قلتُ الفراشةُ قــد تَــدنو مــن الفــارِ

حذف الشاعر حرف العطف (الفاء) في قوله (قلت)، فقد رحلت عنه محبوبته، وأُخبر بأنها قد انصرفت إلى غيره، فامتلأت نفسه بالآلام والأحزان، وتذوق مرارة الهجر، وتملكته مشاعر الغيرة، وهو في هذه الحال يندفع بالكلام فتسقط منه بعض الروابط، وإسقاط حرف العطف هنا يتوافق مع حال الشاعر.

- **حين ينعدم الرابط الذي يربط المعطوف بالمعطوف عليه نتيجة لزوال الرابطة الاجتماعية التي تربط بين المتكلم والمخاطب:** كما في قوله (من الكامل)[1]:

زُرْنــاك لم تــأذنْ كأَنَّــك غَافِــلٌ مــا كــان مِنْــك لواجــبٍ إغْفَــالُ

لقد مات أبو بكر بن ذكوان رفيق طفولة الشاعر وصديق عمره، ففجع الشاعر لموته، وقادته قدماه للذهاب إلى قبره، فوقف أمام قبره يقول: زرنا قبرك لكنك لم تأذن لنا بالزيارة كأنك غافل عنا، ولم تكن في حياتك مقصرا أو غافلا عن أداء الواجب[2]، وقد حذف حرف العطف (الفاء) في قوله (لم تأذن) وانعدام الرابط هنا الذي يربط المعطوف بالمعطوف عليه، يتوافق مع زوال الرابطة التي كانت بين الشاعر وصديقه الميت، فقد مات ابن ذكوان وانعدمت صلته بالشاعر، ولم يعد باستطاعته قضاء الواجب وأداء الحقوق.

- **الدلالة على سرعة تحقيق المعطوف:** كما في قوله (من الطويل)[3]:

وإن يسلِ العافُونَ جدْواكَ يُعْطِهِمْ جــــوادٌ إذا لم يَــــسْألوه تبرَّعَــــا

يمدح الشاعر المعتضد ويقول: إن المحتاجين إذا سألوك بادرتهم بالعطاء، وإذا لم

---

(١) الديوان: ٥٣٦.

(٢) انظر: الديوان: ٥٣٦ هامش (١).

(٣) الديوان: ٥٥٧.

يسألوك تبرعت قبل السؤال [1]، وقد حُذف حرف العطف (الواو) في قوله: إذا لم يسألوه، والتقدير: وإذا لم يسألوه، وقد أعطى هذا الحذف إحساسا بسرعة مبادرة الأمير بمنح عطاياه المحتاجين، فهو لا ينتظر حتى يسألوه هذه الهبات، وذكر العاطف هنا سيوحي ببعض التراخي، ينعدم إذا حذف.

رابعًا: حذف همزة الاستفهام:

اختلف النحاة في حذف همزة الاستفهام، فذهب الخليل إلى أنها تحذف قبل (أم)، حيث أشار إلى أن العرب ربما " أضمروا ألف الاستفهام واستغنوا عنه بأمارته، فيقولون: زيد أتاك أم عمرو؟ ومحمد عندك أم زيد "[2]، وتابعه في ذلك المرادي (٧٤٩ هـ) حيث أشار إلى أن " حذفها مطرد إذا كان بعدها (أم) المتصلة لكثرته نظما ونثرا "[3].

في حين ذهب ابن هشام (٧٦١ هـ) إلى جواز حذفها سواء أتقدمت على (أم) أم لم تتقدمها، فمثال تقدمها على (أم) قول عمر بن أبي ربيعة [4]:

فوالله ما أدْري وإنِّي لحاسِبٌ بسبعٍ رميْتُ الجَمرَ أم بثَمانِ

ومثال عدم تقدمها على (أم) قول الكميت [5]:

---

(١) انظر: الديوان: ٥٥٧ هامش (٣).

(٢) الجمل في النحو. المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ٢٣٤، وانظر: كتاب سيبويه: ٣/ ١٧٤.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٥.

(٤) البيت من الطويل، والشاهد فيه: حذف همزة الاستفهام المتقدمة على (أم) في قوله: بسبع، والتقدير: أبسبع، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م: ٢٠٩، وللبيت رواية أخرى:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثماني

انظر: الجمل في النحو: ٢٣٥، كتاب سيبويه ٣/ ١٧٥، المقتضب: ٣/ ٢٩٤، المحتسب: ١/ ٥٠، أمالي ابن الشجري: ١/ ٤٠٧، شرح المفصل: ٨/ ١٥٤، الجنى الداني: ٣٥، مغني اللبيب: ١/ ٢٣، ضرائر الشعر: ١٥٨، شرح شواهد المغني: ٣١.

(٥) البيت من الطويل، والشاهد فيه حذف همزة الاستفهام في قوله: وذو الشيب، والتقدير: أو ذو=

طَربتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطربُ ولا لَعبًا منِّي وذو الشَّيبِ يلعبُ

أما ابن جني فذهب إلى جواز حذف همزة الاستفهام إذا وجد ما يدل عليها، ففي تعليقه على قول عمر بن أبي ربيعة [1]:

ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا عدد النَّجمِ والحَصَى والتُّرابِ

قال ابن جني: " أظهر الأمرين فيه أن يكون أراد: أتحبها؟ لأن البيت الذي قبله يدل عليه، وهو قوله:

أبْرزوها مثلَ المهاةِ تَهادَى بين خَمْسٍ كَواعبَ أترابِ "[2]

على حين أشار ابن يعيش إلى جواز حذفها في ضرورة الشعر عند وجود ما يدل عليها [3].

والرأي عندي جواز حذف همزة الاستفهام سواء أتقدمت على (أم) أم لم تتقدم عليها، لورود ذلك عن العرب، بشرط أن يوجد دليل على المحذوف.

وقد ورد حذف همزة الاستفهام في شعر ابن زيدون، وذلك في سياق الإثبات والتقرير، كما في قوله (من الطويل) [4]:

أَأُجْفَى بلا جُرْمٍ وأُقصَى بلا ذنْبٍ سوى أنني محضُ الهوى صادقُ الحُبِّ

فالشاعر - وقد هجرته ولادة - يتساءل عن سبب هذا الجفاء وهذا الإقصاء، وقد حذف همزة الاستفهام في قوله: وأقصى بلا ذنب، والتقدير: أَوَأُقصى بلا ذنب،

= الشيب، والبيت في الخصائص: ٢ / ٢٨٣، المحتسب: ١ / ٥٠، أمالي ابن الشجري: ١ / ٤٠٧، مغني اللبيب: ١ / ٢٣.

(١) البيت من الخفيف، واستشهد به على جواز حذف همزة الاستفهام إذا وجد ما يدل عليها، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٠، الخصائص: ٢ / ٢٨٣، أمالي ابن الشجري: ١ / ٤٠٧، ضرائر الشعر: ١٥٩.

(٢) الخصائص: ٢ / ٢٨٣.

(٣) انظر: شرح المفصل: ٨ / ١٥٤.

(٤) الديوان: ١٨٢.

وهذا الحذف يتوافق مع سياق البيت، فالشاعر وهو يتجرع مرارة الهجر يريد أن يقرر ويثبت أنه لم يرتكب ذنبا يستحق عليه هذا الجفاء سوى أنه مخلص صادق في حبه.

وقال ابن زيدون (من الطويل) [1]:

أَأَنفسَ نفْسٍ في الوَرَى أَقْصَد الرَّدَى وأَخْطَرَ عِلْقٍ للهُدى أَهْلَك الدَّهرُ[2]

البيت من قصيدة في رثاء أم أبي الوليد بن جهور، وقد حذف الشاعر همزة الاستفهام في قوله: وأخطر علق للهدى أهلك الدهر، والتقدير: أَوَأَخطر علق للهدى أهلك الدهر، وهذا الحذف أضفى على المعنى إثباتا وتقريرا، فهو يريد أن يقرر ويثبت أن الفقيدة كانت أنفس روح بين الناس وأغلى نفيس في الحياة.

خامسًا: حذف (هل) بعد (أم) التي للإضراب:

ورد حذف (هل) بعد (أم) التي للإضراب في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من البسيط)[3]:

هل النِّداءُ الذي أعلنْتُ مُسْتَمَعُ أم في المئاتِ التي قدَّمتُ مُنْتَفَعُ

لقد أحاطت الفتن بالأمير أبي الوليد بن جهور، وطالت هذه الفتن الشاعر، ففزع إلى الأمير متبرئا منها، فيتوجه إليه بالكلام قائلا: هل تصغي إلى ندائي فتستجيب له؟ أم تنتفع بمئات القصائد التي صُغتها في الثناء عليك، أو مئات الخدمات التي قدمتها لك؟ وحذْف (هل) في هذا السياق حوَّل الأسلوب من الإنشاء إلى الخبر وأضفى على المعنى تقريرا وإثباتا، فالشاعر يتوجه بالنداء إلى الأمير

---

(١) الديوان: ٥٤٢.

(٢) أقصد: الإقصاد: أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه، والخَطَر: ارتفاع القدر والشرف والمال والمنزلة، والعِلق: النفيس من كل شيء. لسان العرب: ١١ / ١٨٢ (ق ص د)، ٤ / ١٣٧ (خ ط ر)، ٩ / ٣٦٢ (ع ل ق).

(٣) الديوان: ٢٩٦.

ليبرئ ساحته أمامه، فكأنه أحس أن هذا النداء لم يُجْدِ نفعا لدى الأمير، عندئذ أضرب عنه، وأخذ يذكره بما صاغه فيه من قصائد المدح، وما قدمه إليه من خدمات.

يتضح من دراسة ظاهرة الحذف في شعر ابن زيدون، أنه أكثر من استخدام هذه الظاهرة، ونوع في استخدامها، بما يخدم المعنى الذي يريد نقله إلى القارئ، فكانت أداة فعالة لديه في بناء الجملة، كما كانت انعكاسا واضحا لحالاته النفسية. ولم يقتصر الدافع لديه من وراء استخدامه لظاهرة الحذف على الإيجاز والاختصار. بل تعددت هذه الدوافع وتنوعت حسب ظروف النص ومقتضيات السياق.